

MAJALLAH

**ALBAAS-EL-ISLAMI**

(MONTHLY)

SEPTEMBER — 1992



# البَعْثَةُ إِلَّا سَلَامٌ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّةٍ شَهْرِيَّةٍ

العدد الثامن — المجلد ٢٧  
ربيع الثاني ١٤١٣ — أكتوبر ١٩٩٢

تصَدِّرُهَا  
مَوْسَيَّةُ الصَّحَافَةِ وَالنَّشْرِ  
نَدْوَةُ الْعُلَمَاءِ ص. ب ٩٣ لَكَنْاؤُ الْهَنْدُ

**البَعْثَةُ**

إِسْلَامِيَّةٌ عَرِيفَةٌ نَصْفُ شَهْرٍ

تصدر من (مؤسسة الصحافة والنشر) بندوة العلامة

الرئيس العام : محمد الرابع الحسني الندوى

نائب الرئيس : سعيد الأعظمي الندوى

رئيس التحرير : واضح رشيد الندوى

مدير التحرير : عبد الله محمد الحسني الندوى

الاشتراك السنوية :

٧٥ روبيه

٢٥ دولاراً

في الهند

المخارج بالبريد الجوى

النوار :

إدارة الرائد ، ندوة العلامة ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

قام بالنشر والتوزيع شاهد حسين (مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلامة  
رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله  
في ١٩٥٥ م ١٢٧٥ هـ

# البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

شيخ الأئمّة العسّاروي  
وأفعى رئيس العسّاروي

العدد الثامن - المجلد السابع والثلاثون

ربيع الثاني ١٤١٢ هـ - أكتوبر ١٩٩٢ م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكانور - الهند

AL-BASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama  
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

اقرأوا كتاب :

## رسائل الأباء لام

مجموع رسائل لكتاب العلامة ، وقادة الفكر والزعماء ،  
والمؤلفين والأدباء ، والكتاب المسلمين الأصدقاء ،  
وبعض الملوك والأمراء والوزراء في العالم العربي ،  
سبعون رسالة لحسين كاتباً مرموقاً

كتبت ووجهت إلى سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى  
أمين ندوة العلماء العام ، ورئيس المجمع الإسلامي العالمي في لكانور (الهند)  
في الفترة ما بين

١٤٠٤ — ١٣٦٧ هـ

إخراج وتقديم

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوى  
عميد كلية اللغة العربية وآدابها ، جامعة ندوة العلماء  
لكانور (الهند)

يطلب الكتاب : من مكتبة دار العلوم لندوة العلماء ص . ب ٩٣  
لكانور (الهند)

## كيف نواجه معاول الهدم و بأي طریق نعالیع التضایا المخادرة

إذا أردنا أن نكشف المؤامرات الخطيرة التي دبرت قديماً ولا تزال تدبر ضد الإسلام والمسلمين في العالم الحديث ، لا تتمكن من ذلك ، وإذا شئنا أن نحصي المخططات الدقيقة التي وضعت لضعف شأن الإسلام وإثبات أن المسلمين أمة مهينة لا دور لها في بناء الحضارات ولا سهم لها في الإبداعات العلية ، لا استطعنا ذلك أبداً ، لقد قام الحقد الصليبي والعداوة اليهودية من فجر التاريخ إلى اليوم ، بتوفير كل نوع من عوامل الهدم والتخريب والفساد على أوسع نطاق ضد الدين الإسلامي الذي تعتبره النصرانية - حمقاً وسفاهة - مناهضاً للمسيحية - إذا كان لها وجود واقعي - على أن الإسلام يعلن بكل صراحة وتأكيد بالإيمان بالكتب السماوية والرسل جميعاً وعدم التفريق بينهم فيقول الله تعالى وقد علم نبيه الخاتم محمدًا ﷺ هذا الإيمان فقال : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله ».

ولكن المعارضين للإسلام والحاقدین عليه يرون في الإسلام عدوًّا يهدم تعاليم الديانات السابقة ، وينسخ أفكارها المحدودة ورسالتها القاصرة ، بل الواقع أنهم لا يعادون الإسلام من أجل أنه

# في هذا العدد

## الافتتاحية :

كيف نواجه معاول الهدم

## التوجيه الإسلامي :

مسائلة الناس يوم القيمة  
مركز الأمة الإسلامية

العلامة أبو الحسن الندوی  
ويذكر الله

## الدعوة الإسلامية :

الإحسان وأثره في حياة المسلم

## اعلام الفقه الإسلامي :

الإمام محمد بن الحسن الشيباني

## أعلام التاريخ الإسلامي :

الإمام ابن دقيق العيد . حياته وآثاره

## المباحث الأصولية :

بحث في التقليد والتلفيق

## دراسات وأبحاث :

كيف يحيي الله الموتى

## صور وأوضاع :

بالحكمة والمعونة الحسنة

إجراء غير ديمقراطي

سعيد الأعظمي

١٠ د/ راشد عبد الله الفرحان  
ساحة الشيخ أبي الحسن علي

١١ الحسني الندوی

١٢ الأستاذ أنور الجندي

١٣ د/ محمد بن سعد الشوير

٤١ د/ شفيق أحمد خان الندوی

٥٠ الأستاذ محمد أكرم الندوی

٥٨ د/ جلال الدين أحمد التوري

٦٦ الأستاذ خالد سيف الله رحماني

٧٢ الأستاذ محمد شهاب الدين الندوی

٨٢ واضع رشيد الندوی

٨٩

والغرور ، وجعله عبداً خاشعاً لله ، وأخاً ناصحاً للإنسان . وسيدأ مطاعاً للكون ، وقد أكرمه بمنصب الخلافة في الأرض الذي اغتبط به الملائكة المقربون وكانوا لا يرون له أهلاً لهذا المنصب العظيم فقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » . قال إتي أعلم ما لا تعلمون » .

وما جاء الإسلام إلا لتجديد هذا المنصب الجليل الذي كان الإنسان قد نسيه أو تناه . ولإعداده لحمل هذه المسئولية الدقيقة التي تحتاج إلى شيء كثير من الذكاء ودقة الفهم والتحلي بالفضائل والاتصال بمركز الانطلاق والقوة . ولذلك فإن تعاليم الإسلام في بناء الفرد والمجتمع تستوعب جميع نواحي الحياة الإنسانية ومناهي العلم والفكر والإيمان والسلوك . وتخطط للتربية منهاجاً قوياً يتفق وطبيعة الإنسان ، وفطرة البشر . سواء في مجال علاقته بالله تبارك وتعالى وحقوقه ، أو في مجال التعايش مع الناس وحقوقهم ، فيكون موقفه واضحاً من علاقاته كلها ، ومن الحياة الدنيا ووسائلها ، والآخرة وغاياتها « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعرفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير » إننا إذا تعمقنا في معاني التعارف لأفادنا ذلك شمولاً لجميع معاني التعايش بالحب والإكرام ، والفضائل والأخلاق الكريمة ، ويتبين به موقف الإنسان من الدنيا وأهلها ، وموقفه من الله تعالى والآخرة .

إن الإنسان الذي بناء الإسلام وكرمه . قام بتمثيل الحياة الإسلامية بجميع ما تشمله من مفاهيم الحياة . فأصبح العالم كله وطناً مألفاً للنوع البشري . وتنفس الناس فيه الصعداء وشهدوا حضارة تحلت بالعلم والإيمان وبالسلوك والعقيدة . وبالسعى

ينسخ البيانات ويستبدل تعاليماً بتعاليماً الواضحة الدائمة الطبيعية . إنما يرون في الإسلام عدواً لأنه ينظم حياة الإنسان أفراداً وجماعات ولا يتركه هلاً سائباً . يطلق لنفسه عنان الشهوات كيما شاء ومتى شاء . ويترك الأهواء تهدم في السر والعلانية القيمة والأعراف والمصالح الاجتماعية والدينية بغاية من القسوة . إنه يضع الإنسان محلأً كريماً بإزاء الخلق كله . و يجعله سيد هذا الكون . بتسييره له ما في السماوات والأرض ويرفع قيمته بازاحة كل واسطة بينه وبين رب تبارك وتعالى ، وتقريره إلى ذاته العالية : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » . ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسم به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

لم يكن في أي ديانة سبقت الإسلام ما يحقق مطالب الطبيعة الإنسانية من جميع النواحي ويربطها بالله تعالى وبالكون برباط العقيدة والشريعة . ولم يكن هناك ما يفجر طاقاتها في صالح الحياة وبناء عالم الحضارة الإنسانية ، ويعتبر آخر : بناء عالم الحضارة الإلهية التي يستظل بظلالها الوارفة كل ما في الكون ، وكل ما للحياة والإنسان ، ويعتعاون بعضه مع بعض في إخراجهما من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سمعتها ، ومن المفاهيم المحدودة إلى المعاني العالية اللامحدودة . ولقد شهد التاريخ البشري اتساع الإنسان في الآفاق وشموله كل صغير وكبير و كل دقيق و جليل من القضايا و الشئون مهما كانت نوعيتها . بعد ما أسبغ الله عليه نعمة الإسلام وألبسه لباس التقوى ، وخرطه بنظم الاخوة والحب والولاء . وبعد ما أنقذه من شفا حفرة من نار العداوة وجحيم الشهوات والأنانية والصلف

البعث الإسلامي العدد ٨ - الجلد ٢٧ - ربیع الثانی ١٤٢٦  
نحیب من العلم . ولا حظ من الحضارة والأخلاق . وإنما التوجيه  
الديني والحضاري كله كان بيد المسلمين الذين فتحوا أوربا الشقية  
وأخرجوها من ذلك الظل الدامس الذي استمر عليها إلى عدة  
قرون بعد ظهور الإسلام ، وعادت الأمم الغربية إلى نور الحضارة  
الذي حمله القادة والدعاة المسلمين إليها ، وهناك عرفت معنى  
العلم والحضارة والأخلاق . ولكنها لم تعرف بهذا العروض الذي  
أسداه إليها المسلمين ، فزاحت عن القصد . وحدّت عن الطريق ،  
وعاشت أفكاراً مريضة هزلية ، لا تغنى شيئاً عن توجيه معاني  
السعادة إلى الحياة والمجتمع .

ولكن المأساة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم تعكسها  
المواقف المحايدة التي تقفها من هذه الحضارة لا في الشؤون العلية  
والإبداعية فحسب بل في الجوانب التي تتعلق بالإيمان والعقائد ،  
وذلك بالنظر إليها بعين الاعجاب الشديد في أساليب الحياة من  
الشعار والشارقة ، لا في النجزات الصناعية وحدها ، بل في الفكر  
الحضاري والمادي أيضاً . وكانت هذه الرؤية هي التي سببت لنا  
التخلف والانتكاس ، وهي التي فرضت علينا الفكر التقليدي ،  
وأجبرتنا أن نمشي على هامش الحياة .

هذه النكسة التي رضيناها عملياً لتكتفى أن تتأمر علينا الأمم  
المادية العائشة في ظل الحضارات الصليبية ، وتستهدف حياتنا  
وشعارنا وشرعيتنا وعقائدهنا بمعاول الهدم والتخريب . وتركز  
على إضعاف وسائلنا وطاقاتنا و إثبات أن المسلمين « أمة قد  
خللت » لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت <sup>٤</sup> وطوى بساطها ،  
وانتهى دورها في العلم والإبداع وبناء العالم الحديث .

من ثم تعود مسؤولية الاطلاع على ما يجري في أواسط  
الحضارات المادية العادلة للإسلام والمسلمين من تحطيمات سلبية

والجهاد في مجال المصلحة العامة والخاصة ، فسادت فيها معاني  
العدل والرحمة والحب والثقة . وتجلت فيها دوافع العمل البناء ،  
ومواقف الشجاعة تجاه إنكار المنكر والجرائم والآثام . وتركزت  
فيها لهم على توفير أسباب العمل الجاد في سبيل ترفيه الحياة  
وتوجيه الأمن والسلام والهدوء إلى جميع قطاعات البشر . لكيلا  
يواجه المجتمع ظروفاً شاذة تشغله عن القيام بمسؤوليته وتحول  
دون التوصل إلى الغاية المنشودة .  
هذه الحضارة الخيرة التي أسسها الإسلام على معاني السعادة  
الحق رفعت معنوية الإنسان وأوقفته من العلم والإيمان ، ومن  
الدنيا والآخرة موقفاً متذناً يجد فيه جميع جوانب الحياة  
والمجتمع حظها من السعادة والسلام ، ومن الأخلاق والفضائل ما  
يساعدها على الانطلاق نحو الهدف والاستحياء من معاني  
العبودية لله تعالى والاخوة مع الناس ، والعمل للدنيا والآخرة على  
السواء ، والسلم هو الذي قاد هذه الحضارة وسهر على تعميق  
جذورها والتفاعل معها في كل نشاط وعمل ، وكل زمان ومكان ،  
وقد سجل التاريخ الإنساني مآثرها وخلد آثارها على المجتمعات  
الإنسانية ، يوم كتب لها الإزدهار ، والانتشار ، وأذن لها  
بالتوجيه والبناء ، ونشر الخير والفضيلة على كل مستوى .

ومع ضعف قيادة المسلمين وانحلال قبضتهم على هذه  
الحضارة بحكم الظروف التي واجهتهم في مختلف الفترات  
والأزمان ، ضعف وعيهم الحضاري ، وتسربت إليهم أدوات خلقية  
فساروا في موكب الحضارات المادية وتناسوا ما كان لديهم من  
منهج حضاري شامل وميزة إيمانية مكنته من القيادة العالمية  
والتوجيه الإنساني العام ، في فترة عاشت فيها الأمم والشعوب  
الغربية والشرقية كلها في ظلام مطبق ، ولم يكن فيها للغرب

القضاء على شريعة الإسلام ، ومنهجه السليم للحياة ، وإن المسلمين كأمة ذات رسالة خالدة ودعوة واضحة مسئولون عن إبراز شخصيتهم الإسلامية في خضم هذه المؤامرات التي تدبر ضدهم ، إنهم مسئولون عن إعلان مواقفهم الصريحة من كل ما يضاد شريعة الإسلام ، وعن إصرارهم على أن الطريق الطبيعي للنجاح والسعادة في جميع الظروف والأحوال إنما هو الدين ليس غير ، وإن الدين عند الله الإسلام ، الذي رضي الله سبحانه وتعالى لسعادة النوع البشري كله ، وفي كل زمان وجيل .

لذلك فإن جميع أمم العالم وشعوبه وزعماء الحضارات ورجال الفلسفات المادية مدعوون إلى هذا الدين لكي يجربوه ويبحثوا فيه عن مطالب العلم والإبداع والحضارة والأمن والسلام . عسى أن يجدوا فيه بغيتهم ، ويفرحوا بالفوز بضالتهم . إننا كأمة الدعوة والمسؤولية الجادة ، مطالبون بالقيام بهذا العمل العظيم ، وتمثل النموذج الأمثل للحياة الإسلامية التي هي حاجة الإنسان اليوم وغداً . وفي كل عصر ومصر . وفي جميع الظروف والأحوال .

فليكن منا دعاء يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون .

ولتكن منا جماعة تربت تحت ظلال الدعوة الوارفة . وتشربت العقيدة الصافية ، نقية الفكر ، واضحة الرؤى . سامية الهدف . جامعة بلايمان والعلم . قوية الصلة بالله وبالناس . حتى تقوم بالدعوة إلى الإسلام . بالاقتناع الكامل . وتوكد للعالم الحديث أن الإسلام حاجة أكيدة لتحقيق السعادة والسلام والأمن . وتقديم الحلول لجميع المشكلات والأزمات التي استعصت عليه اليوم .

سعید الأعظمي

# التوجيه الإسلامي

وأعماله من رحمة ربّه، ولذلك جاء السؤال مثبّتاً عاماً.

أما الآيات الأخرى في القصص والرحمن فهي خاصة بسؤال المجرمين عن الذنوب، وتعني الاستخبار والاستعلام. وما كان الله سبحانه أعلم بأفعالهم منهم كما قال تعالى في الآية التالية في الأعراف الآية: ٧، «فَلَنْقُصْنَ عَلَيْهِمْ بَعْلَمْ وَمَا كَنَا غَايْبِينَ».

وقال في سورة المجادلة الآية: ٦: «أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسْوَهُ» فهذا سؤال منفي خاص.

والمعنى: لا يسأل عن ذنبه يوم القيمة إنساناً ولا جان سؤال استخبار واستعلام، لأن الله أعلم بذنبه منه، لكنه يسأل سؤال توبّع وتقرير ليقرّ ويعرف على نفسه، وتشهد عليه حواسه وأعصابه. «يَوْمَ تَشَهِّدُ عَلَيْهِمْ أَسْنَتْهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (سورة النور، الآية: ٢٤).

٢- الشفاعة، لغة الوسيلة والطلب، وعرفا، سؤال الخير للخير، أو السؤال في التجاوز عن المعاصي في الآلام. قال الله في سورة الزمر الآية: ٤٤، «قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ».

والمعنى: لا يملك الشفاعة أحد إلا بتملّيكه، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه «مِنْ ذَاذِي يَشْفِعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (سورة البقرة، الآية: ٢٥٥) وقال: «لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى» (سورة الأنبياء، الآية: ٢٨) أي أنها تكون من الأنبياء والشهداء والعلماء والصالحين، والنبي ﷺ هو أول من يفتح الباب حين يشفع في فصل القضاء بين الناس، وهي الشفاعة العظمى التي يغبطه عليها الأولون والآخرون، حيث يريح بها الناس من عناء طول الموقف وهو له، وله شفاعة ثانية لأهل الجنة في أن يدخلوها، وهناك شفاعة عامة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، يشفع فيمن استحق النار لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، ولذلك لرم أن يقول الإنسان إذا سمع الآذان: «أَللّهُمَّ آتِيْهِمْ

## مساءلة الناس يوم القيمة

بقلم: معالي الدكتور راشد عبد الله الفرحان  
وزير الأوقاف سابقاً، لدولة الكويت

١- قال الله تعالى في سورة الأعراف الآية: ٦: «فَلَنْسَأَلَنَّ اذْنِينَ أَرْسَلْ إِلَيْهِمْ وَلَنْسَأَلَنَّ الْمَرْسَلِينَ».

والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى يسأل أخلق عن أعمالهم يوم القيمة وقت الحساب سؤال توبّع وتقرير، ومثله ما ورد في سورة الحجر، الآية ٩٣-٩٢: «فَوَرَبَّكَ لَنْسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وفي سورة الأنبياء، الآية: ٢٣، «لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَمَمْ يَسْأَلُونَ» وهو سؤال مثبت عام.

وفي آيات أخرى تنفي السؤال يوم القيمة مما يثير إشكالاً كقوله تعالى في سورة القصص، بعد أن تكلم الله سبحانه عن قارون واغتراره بما عنده من المال بعلم من عنده حسب ادعائه، وبين له الله أنه أملك من كان قبله من كان أشد منه قوة وأكثر عدداً فقال: «أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقَرُونِ مِنْ هُوَ أَشَدُ قَوْةً وَأَكْثَرُ جَمِيعاً وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» (سورة القصص، الآية: ٧٨).

وفي سورة الرحمن الآية: ٣٩: «فَنَبْيُونَذْ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسَنٌ وَلَا جَانٌ» والإشكال ليزول في فهم الآيات إذا علم أن في الآيات السابقة الأعراف والحجر والأنبياء، أن الله يسألهم سؤال توبّع وتقرير: «وَيَوْمَ يَنْادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَتْمُ الْمَرْسَلِينَ» (سورة القصص الآية: ٦٥) ينادي الله الجميع ويسأل الجميع ولكل حظه ونصيبه على حسب حاله

فضلاً عن الاستغاثة بالرسول أو بغيره ، فإن الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيها . وأما التوسل فهو بدعة لا كفر . أعادنا الله وإياكم من الشرك والبدعة وجعلنا من عباده الموحدين المخلصين .

٤- الجنة : هي دار الشواب والنعيم المقيم التي أعدّها الله للمؤمنين . وفيها من النعيم ما لا عين رأت . ولا أذن سمعت . ولا خطر على قلب بشر . وأقل الناس فيها درجة . له أمثال ما في الدنيا . والناس فيها درجات على حسب أعمالهم . وأعلى مراتبها الفردوس . وهي دار الخلود لا موت فيها . ومن صفاتها أن لها ثمانية أبواب عظيمة . وأن فيها الحور العين . والولدان الخلدين . وأنهاراً من الماء العذب والعسل المصفى . وأن تحية المسلمين فيها السلام . ويزيد الله نعمته على عباده فيها فيرضى عنهم رضاً أبوياً . وغير ذلك من الأوصاف التي ذكرتها الآيات .

قال الله تعالى في سورة الإنسان الآية : ٢٢-١٢ : « وجراهم بما صبروا جنة وحريراً . متكثين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زهريراً . ودانية عليهم ظلالها وذلت قطوفها تذليلاً . ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكوابٍ كانت قواريرأ . قوارير من فضة قدرواها تقديرأ . ويستقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً . عيناً فيها تسمى سلسليلاً . ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتم حسبهم لؤلؤاً منثوراً . وإذا رأيت قم رأيت نعيمًا وملكاً كبيراً . عاليهم ثياب سندس خضرٌ واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقامهم ربهم شراباً طهوراً . إن هذا كان لكم جراءً وكان سعيكم مشكوراً » .

### شرح المفردات :

الأرائك : هي السرر والأريكة مقعد منجد . سندس : وهو رفيع الحرير كالقصان ونحوها مما يلي أبدانهم . واستبرق : وهو ما غلط من الديباج فيه بريق ولغان وهو ما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس .

الوسيلة والفضلة وابنته مقاماً محموداً الذي وعدته » وذلك كي يحصل على شفاعته ﷺ . اللهم ارزقنا شفاعته وشفاعة من ترضاه يارب العالمين . ٣- والشفاعة في الدنيا عند بعض أصحاب الأديان والمذاهب المعاصرة الباطلة . يتوجهون إلى زعيم الطائفة أو القبيلة أو غيره يقدمون له النذور والقرابين ، أو يتقرب منه بتعذيب نفسه بأنواع مختلفة من البكاء والحزن والجزع . ومنهم من يصوغ تفاصيل لتكون شفيعة لأصحابها في استجابة طلبه . والشفاعة لا تكون إلا لله لا لغيره من الخلقين . فلا يصح الطلب من أي كان في الحياة الدنيا حياً كان أو ميتاً أن يطلب منه قضاء حاجة أو تيسير أمر أو حل عقدة أو غير ذلك فالطلب لله عز وجل . ويمكن أن يطلب من يحب من العلماء والصلحاء أن يدعوه بتحقيق مطلبه . لا أن يعتقد بأن ذلك الإنسان يستطيع أن يفعل له شيئاً . ويمكن أن يطلب من الله بحق فلان وبفضل فلان . ويمكن أن يتولى بالأعمال الصالحة . كما جاء في الحديث عن ثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ، فتوسل أحدهم : ببر والديه . والثاني : بعفته . والثالث : بتنمية أجر الأجير . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » (سورة المائدة ، الآية : ٤٥) أي تقربوا إليه بالأعمال الصالحة . أو بأسمائه وصفاته .

فإذن هناك توسل مشروع . وتوسل من نوع ، فالتوسل المشروع

القسم الأول : هو التوسل بالإيمان بالله وبرسوله ، وبالأعمال الصالحة .

القسم الثاني : التوسل بدعائه - ﷺ - يوم كان حياً . بأن يأتي السائل فيسأل الرسول ﷺ . أن يطلب له من الله عافية . كما طلب الأعرابي من الرسول أن يستقي لهم . ولكن هذا التوسل الذي هو بدعائه قد انقطع بموته - ﷺ - فلا يجوز لسلم أن يأتي قبل رسول الله ويسأله حاجته . أو غفران ذنب . أو كشف ضر .

والتوسل المنوع هو التوسل بالصالحين . أو الأنبياء والمرسلين .

الهلاك . ينذرون : أَيُّ لَا تذهب عقولهم ، يقال للسُّكْرَان نزيف ، عِينٌ :  
واسعات العيون حسانها . كأنهن بيض مكنون : شبههن بيض النعام  
تكتنها النعامة بالريش من الريح والغبار . فلونه أبيض في صفرة .  
والعرب تشبه المرأة الحسنة في بياضها وحسن لونها بيضة النعامة .  
وهو أحسن ألوان النساء ، وهو أن تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة .  
هذا النعيم المذكور جاء على مثال ما هو معروف في هذا العالم  
الأرضي . وإن كان أرقى منه نوعاً وشكلأً وطعماً . وحقيقة فوق ما  
يتصوره البشر . قال ابن عباس رضي الله عنهم في تفسير قوله جل  
وعلا : « وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون »  
(سورة البقرة ، الآية : ٢٥) ..

لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء .  
أعلى نعيم الجنة : وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله عز وجل .  
ومناجاته . و الفوز برضاه . قال تعالى في سورة التبायة الآية ٢٢-٢٣ :  
﴿وجوه يومئذ ناضرة • إلى ربها ناظرة﴾ وقال الله جل وعله في سورة  
يونس الآية : ٣٦ : ﴿للذين أحسنوا الحسنة وزيادة ولا يرهاق وجههم  
فتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ الحسنة : الجنة .  
الزيادة . النظر إلى وجه الله عز وجل .

وأما رؤية الله في الدنيا فلم تقع لأحد قط . وقد سأله موسى عليه السلام ربه ذلك فرد الله عليه يقوله جل وعلا : « إنك لن تراني ». ورؤية الرسول ﷺ الواردة في سورة النجم فكانت لجبريل عليه السلام ولم تكن لله عز وجل .

وقال الله تعالى في سورة الرحمن الآية ٥٨-٤٦ : «ولن خاف مقام  
ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ذواتاً أفنان . فبأي آلاء ربكما  
تكذبان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيهما من  
كل فاكهة زوجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . متكمين على فرش  
بطائتها من استبرق وجنى الجنتين دان . فبأي آلاء ربكما تكذبان .  
فيهن قاصرات الطرف لم يطمشهن إنسقبلهم ولا جآن . فبأي آلاء ربكما  
تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان » .

**ذواتاً أفنان : أي أغصان نمرة حسنة تحمل من كل ثمرة فضيحة  
فائقة .**

وقال الله في سورة الغاشية الآية : ١٦-٨ : « وجوه يومئذ ناعمة •  
لسيّها راضية • في جنة عالية • لا تسمع فيها لاغية • فيها عين جارية •  
فيها سرّ مرفوعة • وأكواب موضعية • ونمارق مصفوفة • وزرابي  
مشونة » .

شرح المفردات :  
النارق : الوسائل ، الزرابي : البسط ، مبتوءة : أي ما هنا وما هنا  
لن أردا الجلوس عليها .

وقال الله في سورة الصافات الآية : ٤٩-٤٠ : « إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ .  
أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ . فَوَاكِهُ وَهُمْ نَكَرُ مُونَ . فِي جَنَّاتٍ نَعِيمٍ . عَلَى  
سُرُرٍ مُتَقَابِلَيْنَ . يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعْيَنٍ . بِيَضَاءِ لَذَّةِ الشَّارِبِينَ .  
لَا فِيهَا غُولٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يَنْزَفُونَ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْطَرْفِ عَيْنٍ .  
كَانُهُنَّ بِيَضْ مَكْنُونٌ » .

الكأس : الإناء بما فيه . والمعين : الماء الظاهر الجاري ، والمراد به خمر الجنّة وهي ليست كخمر الأرض جارية في أنهار ظاهرة ، الغول : أي لا تفتال عقولهم فتذهب بها ، ويقال للووجع غول لأنّه يؤودي إلى

وهي أمة ذات هدف معين في الحياة ، ورسالة كاملة في العالم ، وحضارتها وثقافتها ، وكفاحها ، وإننتاجها ، وكل ما يتصل بها من حركة ونشاط خاضع لعقيدتها وغاياتها ورسالتها ، فلا قيمة عندها لفلسفة تقول : « العلم للعلم » و « القوة للقوة » و « الاكتشاف للاكتشاف » وكذلك ليس من مهمتها بسط السيطرة على الإنسان أو على الأكوان ، وتسخير الطاقات البشرية ، أو القوى الطبيعية والفلكلورية لإثبات قوتها أو تقرير فتوحها المادية والعلمية ، فإن ذلك عندها ضرب من العبث ، ونوع من الأنانية المتضخمة ، والقرآن يتلو عليها ويضبط اتجاهاتها وطموحها بقوله : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يُرِيدُونَ علَوْا في الأرض ولا فساداً . والعاقبة للمتقين » (سورة القصص ، الآية : ٨٢) .

### الؤمن القوي العليم الصالح المصلح :

إنما يسمح لها الإسلام بالكفاح في سبيل الحياة والطبيعة والعلم - وقد يحث عليه - لصالح البشرية وللغايات الكريمة إلى حد التفكير ، الذي يأخذ - إذا اضطر واحتاج - من حوله بإرادة واختيار ما يلائمه ، وما لا يلائمه ويفوقه وامتيازه ، وثقته بنفسه ومركته ، وينبذ ما لا يلائمه ويفقد شخصيته ومركته ويفقد امتيازه ويدمجه في غيره ، ولذلك نهيت هذه الأمة عن التشبه بقوم في شعارهم وشاراتهم (١) .

والأسباب ، مؤمن بربه ، خاضع له ، مؤمن بالآخرة ، ساعٍ لها ، مقر بضعفه ، رحيم بالإنسانية وبالآمم الضعيفة ، حامٍ للحق ، يستخدم كل قوته وجهوده ومواهبه ، وجميع وسائله وذخائره لخدمة الإنسانية ، وتكوين المجتمع الصالح ، وإعلاء كلمة الله ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الناس والمادة إلى عبادة الله ، سيرة مثلها سليمان بن داؤد في عصره ، مثلها ذو القرنين في

## مركز الأمة الإسلامية ورسالتها

ساحة الشيخ العلام السید أبو الحسن علي الحسني الندوی

إن الأمة الإسلامية هي صاحبة الرسالة الدينية الأخيرة ، وهذه الرسالة هي التي تسيطر - على جميع مواقفها ، وتصرفاتها ، مركزها مركز القيادة والتوجيه ، والحسنة على العالم ، والقرآن يعلن بقوة وصراحة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس . تأمورون بالمعروف وتنهون عن المنكر . وتؤمنون بالله » ، فلا يجوز أن يكون مكان هذه الأمة في مؤخر الركب وفي صف التلاميذ والحاشية ، وأن تعيش على هامش الأمم وترضى - من القيادة والتوجيه ، والأمر والنهي ، والخلق والإبداع - بالتقليد والتطبيق ، والخضوع والإطاعة ، فلا يكون موقفها الصحيح إلا موقف الحر الكريم ، القوى الإرادة ، المستقل التفكير ، الذي يأخذ - إذا اضطر واحتاج - من حوله بإرادة واختيار ما يلائمه ، وما لا يلائمه وتفوقه وامتيازه ، وثقته بنفسه ومركته ، وينبذ ما لا يلائمه ويفقد شخصيته ومركته ويفقد امتيازه ويدمجه في غيره ، ولذلك نهيت هذه الأمة عن التشبه بقوم في شعارهم وشاراتهم (١) .

(١) قال العلامة الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى (م ٧٤٢هـ) في كتابه « الكاشف عن حقائق السنن الحمدية » شرح مشكاة المصائب » في شرح « من تشبه بقوم فهو منهم » الذي أخرجه أحمد وأبو داؤد « هذا عام في الخلق والخلق والشعار ، ولما كان الشعار أظهر في التشبه ذكر هذا الباب » قال العلامة نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بملالى القاري (م ١٠١٤هـ) في المرقاة « قلت بل الشعار هو المراد بالتشبه لا غير . فإن الخلق الصورى لا يتصور فيه التشبه والخلق العنوى لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق » (ص ٤٢١ - ج ٤) .

عصره ومتلها الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون في عصورهم (١).

### الحياة كمرحلة عابرة ووسيلة للأخرة:

أما موقفها من هذه الحياة، فهو موقف من لا يرها الغاية الأسمى والثل الأعلى، وسدرة المنتهى في السعادة والتقدم، إنما ينظر إليها كمرحلة «عابرة» لابد من اجتيازها، وكوسيلة للوصول إلى الفوز الأكبر، والحياة الدائمة، والعيشة الراضية، إن القرآن يقرر - بكل وضوح وقوة - قصر هذه الحياة الدنيا، وتفاهتها وتضليلها في جنب الآخرة، فيقول مثلاً: «فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» (سورة براءة، الآية: ٢٨)، ويقول: «وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُ وَلَعْبٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ لِهِ الْحَيْوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (سورة العنكبوت، الآية: ٦٤)، ويقول: «أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُ وَزِينَةٌ وَتَفَاهَّرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نِبَاتَهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حَطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَرَضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفَرَوْرِ» (سورة الحديد، الآية: ٢٠).

ويقرر كذلك - في وضوح - أنها قنطرة إلى الآخرة، وفرصة للعمل، فيقول: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لَنْبَلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (سورة الكهف، الآية: ٧)، ويقول: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» (سورة الملك، الآية: ٢) ويقرر أن الآخرة خير وأبقى، فيقول: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُ وَلَلَّذِارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (سورة الأنعام، الآية: ٢٢) ويقول: «وَمَا أُوتِيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعٌ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عَنِّ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (سورة العنكبوت، الآية: ٣٢).

(١) تفسير سورة الكهف للمؤلف «المسلمون» المجلد السادس، عدد ٤.

القصص، الآية: ٢٢) ويذم ويشنع على من يؤثر الدنيا - هذه الفانية العارضة السقيمة الناقصة - على الآخرة الباقية الخالدة، الواسعة الصافية من الأكدار، الخالية من الأخطار، فيقول: «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (سورة يونس، الآية: ٨-٧).

ويقول: «مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَهُبُطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (سورة هود، الآية: ١٦) ويقول: «وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عَوْجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ» (سورة إبراهيم، الآية: ٢)، ويقول: «يَعْلُمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» (سورة الروم، الآية: ٧) ويقول: «فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّ عَنِ الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَرَضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفَرَوْرِ» (سورة الحديد، الآية: ٢٠). ويقرر كذلك - في وضوح - أنها قنطرة إلى الآخرة، وفرصة للعمل، فيقول: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لَنْبَلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (سورة الكهف، الآية: ٧)، ويقول: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» (سورة الملك، الآية: ٢) ويقرر أن الآخرة خير وأبقى، فيقول: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُ وَلَلَّذِارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (سورة الأنعام، الآية: ٢٢) ويقول: «وَمَا أُوتِيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعٌ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عَنِّ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (سورة العنكبوت، الآية: ٣٢).

ويمدح من يجمع بين الدنيا والآخرة مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا، ومعرفة قيمتها وفضلها والحرص عليها، فيقول: «فَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ» (سورة البقرة، الآية: ٢٠١-٢٠٠) ويقول على لسان

النبوة - إن صح التعبير - مع الفلسفات المادية ، والتفكير المادي الذي يلح على أن هذه الحياة الدنيا هي كل شيء ، وهي المنهى . ويبالغ تمجيدها وتقديسها والاحتفاء بها ، والحرص على ترفيتها وتزيينها .

### حضارة ثائرة على القيم الدينية والروحية :

وقد كان من المصادرات الأليمة الحزنة ، والآسي الفاجعة للبشرية أن الحضارة الغربية ترعرعت في عصر قد ثار على الدين وأسسه من الإيمان بالغيب وغير ذلك ، وفي أمة قد ثارت على الذين تزعموا الدين واستغلوه لشهواتهم وأنانياتهم ، واشتد غضبها عليهم لسوء سيرتهم وهمجيتهم ووقوفهم في سبيل التقدم وحرية العقل والعلم . فترافق نشوء الحضارة والصناعة والاتجاه المادي العنيف ، الاتجاه إلى تنظيم الحياة على أسس مادية خالصة ، وقطع صلة المجتمع والبشرية عن فاطرها ومصرف هذا الكون ، وكل ذلك اقتضته سلسلة الأسباب وطبع الأشياء وضع أوربا الخاص ، فشبّت هذه الحضارة واختبرت وهي السيطرة على القوى والأسباب ، قد بلغت الغاية في التقدم والصناعة وعلوم الطبيعة حتى استطاعت أخيراً أن تعدم المساحات والأبعاد ، وتجاوزت الكرة الهوائية ، إلى غير ذلك من الفتوح في دائرة العلوم الطبيعية والفلكلية (١) .

### سيطرة المادية على قادة التجديد في الشرق الإسلامي :

وقد انتقلت هذه النفسية المادية إلى قادة حركات التجديد ، وبالأصل التغريب في الشرق الإسلامي وتواضعوا - من عهد «كمال» إلى عهد «جمال» على الافتتان بالتقدم المادي ، واتخذوا القوة والرفاهية إليها يقدس ويعبد ويُكفر بغيره ، ويُضحى على أنصافه بكل القيم الخلقية والروحية ، وما ليست له قيمة مادية ، وحسب

(١) منقول من تفسير سورة الكهف للمؤلف النشور في «السلون» المجلد السادس (١٤٢٧هـ) عدد ١-٢-٤ .

نبي الله موسى : « و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك » (سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦) ، ويمدح خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول : « و آتيناه في الدنيا حسنة و إنه في الآخرة لمن الصالحين » (سورة النحل ، الآية : ١٢٢) .

وخير ما يمثل موقف المؤمن من هذه الحياة ، ويحدده بدقة ومقدرة ليست فوقها دقة ومقدرة ، هو الجملة الحكيمية الماثورة عن رسول الله : « إن الدنيا خلقت لكم وإنكم خلقتم للآخرة » (١) نالمسلم يجمع بين الانتفاع بمرافق الحياة وأسباب الدنيا واستخدامها كشيء خلق لأجله وسخرله ، وبين السعي للآخرة والكافح لها كفاية خلق لأجلها ، فهو ينظر إلى الدنيا وقواتها وسائلها كمطيبة ومركب لا كراكب وينظر إلى الآخرة كفاية ينتهي إليها ووطن ينجأ إليها ، فيجمع عليه همه ويرهق له قواه ويبحث إليه مطيته ، وذلك مثل النبوة الذي مثله الرسول ﷺ إذ قال : « مالي وللدنيا وما أنا وللدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » (٢) .

وقد تجلت هذه النفسية القرآنية ، والنظرة القرآنية إلى الحياة في حياة النبي ﷺ وتعاليمه وسلوكه ، وكلامه وعواطفه ، وأماناته ودعائه وسره وعلمه وتجلت كذلك في حياة الصحابة الذين تربوا وتكونت سيرتهم وعقليتهم في حضانته وتحت إشرافه ، ومن كان على نهجهم وعلى غرارهم من التابعين و المؤمنين من هذه الأمة ، بحيث قد صار ذلك طابعًا لحياتهم ، ومزاً لا ينفك عنهم ، و أصبح من الحقائق التاريخية التي لا يماري فيها .  
وهنا تتعارض الأديان السماوية ، وتعاليم النبوة ، أو مدرسة

(٢) رواه أحمد والترمذى .

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

## العلامة أبو الحسن الندوی في مرآة كتاباته ومحاضراته

[نفضل الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أنور الجندي بكتابه هذا المقال خصيصاً لملحق البعث الإسلامي . وقد تحدث فيه عن شخصية العلامة الكبير ساحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوی في ضوء كتاباته ومحاضراته . وأشار بمحكماته العالية في الأدب والدين والعلم والفضل . واعتبره من أبرز من بخر جته ندوة العلماء بعد العلامة السيد سليمان الندوی .

ونحن إذ نتعرّف لهذا المقال إلى قرائنا الكرام ، نرفع أصدق آيات الشكر و التقدير إلى مقام الكاتب الكبير . الأستاذ أنور الجندي . حفظه الله تعالى .  
[التحرير]

من أبرز ما أخرجته ندوة العلماء : العلامة الأستاذ الحسني أبو الحسن الندوی الذي هو في أصله الأصيل من أبناء أسرة الإمام أحمد عرفان أول من أقام الدولة الإسلامية في الهند في العصر الحديث في مواجهة الاستعمار البريطاني بعد أن قاومه في ثورة عارمة . استشهد فيها وترك أثراً عميقاً في أجيال متعددة وهو واحد من أبرز نتاج ندوة العلماء (الندويون) الأعلام المتتابعين منذ نشأت دار العلوم في مدينة لكان و كان على رأسها الشيخ شibli النعmani الذي كان له في الأدب العربي والفكر الإسلامي آثار هامة . فقد عارض ونقد ما كتبه جرجي زيدان عن التمدن الإسلامي و رد الأمور إلى الحق . ثم برز بعد ذلك العلامة سليمان الندوی و مسعود الندوی ثم جاء أبو الحسن فكان قمة عالية في العلم والفضل .

وقد عمل مؤلاء جمِيعاً في مجال دحض الشبهات وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم الإسلامية من الشبهات والاختفاء والتحولات التي استهدفتها الاستعمار والتبيير والتقرير والغزو الفكري . تلك

القارئ أن يقرأ خطب مؤلاء الزعماء القوميين والقادة السياسيين ، وما يكتبونه بين آونة وأخرى ، وما يدللون به من تصريحات ، وما يتذذلونه من إجراءات رسمية وخطوات عملية ، وما يعاملون به الأحزاب التي تفكَّر غير هذه التفكير ، وتسيِّر غير هذه السيرة ، وتنتقد هذه الاتجاهات ، وحسبه أن يقرأ مشاريع الحكومة والخطط المستهدفة ومجالات النشاط والحركة والحماسة في الدوائر الرسمية ، ويرأها مقتصرة على ترفيفه البلاد وتقويتها مادياً ، ورفع مستوى الحياة ، ولمجاراة الشعوب التي لا تعرف غير المادة والمحسوسات حقيقة ، ولا تعرف غير القوة إليها ، ولا تعرف غير التقدم المادي والرفاهية الدنيوية هدفاً وغريزاً ، ولا تعرف غير مجموعة الأفراد الذين تربط بينهم رابطة قومية أو معاهدة سياسية - مجموعة بشرية ، تستحق الاحترام والاهتمام ، إن هذه هي النفسية التي جرت على العالم الشقاء والبلاء في كل زمان . وهي العقلية الضيقة السقيمة التي حاربتها الأديان . وجاء يمحوها الإسلام . وإن احتضان قادة بلد إسلامي لهذه الفكرة والعقيدة المادية الضيقة نكسة عظيمة في التفكير لا تدل إلا على ضعف الإيمان وسوء التربية ، وسقوط الهمة ، وقصر النظر ، وشقاء هذه البلاد أولاً ، وشقاء العالم الإنساني ثانياً . إن الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ومركز هذه الأمة في العالم ، ومعرفة رسالتها والإيمان بقيمتها ، والضغط على قيمة الآخرة وما بعد هذه الحياة - من سعادة وشقاء وجنة ونار - والتركيز على الجانب الخلقي والروحي من الحياة ، هو الخط الفاصل الذي يشكل الحد الفاصل الرسمي بين الحضارتين . حضارة يوافق عليها الإسلام ، ويتحمل مسؤوليتها . ويباركها ، وتنتجلي فيها الشخصية والأصالة والاتباع . وحضارة يتبرأ منها الإسلام ويخسر فيها المسلمين . وتنتجلي فيها العبودية والرضوخ والاستسلام ، والعبادة التي لا تعرف إلا تقليد البغوضات ، ومحاكاها القرود .

العدد ١ - المجلد ٢٧ - ربیع الثانی ١٤١٢هـ / البعث الإسلامي / العدد ١ - المجلد ١ - ١٢١١هـ

كانت مهمة ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها منذ نشأت عام ١٢١١هـ مدرسة إسلامية كبيرة في قلب آسيا لإحياء وتصحيح المفاهيم وقد امتلكت منذ اليوم الأول القدرة على مواجهة الدعاوى التي تحاول أن تسيطر على المسلمين في ظل الإرساليات ومنهاجها التي تقدم الإسلام تقديماً منحرفاً وتحاول الفض من أبرز معالمه وهي الشريعة والجهاد.

يقول الأستاذ مسعود الندوبي : قام بتأسيسها جماعة من مفاضل العلماء وأولى العلم والرأي من أحسوا بالخطر الداهم والشر المتفاق نتيجة انتشار الثقافتين المتناقضتين وشعروا بالحاجة الماسة إلى منهاج معتدل في التعليم والثقافة ينشئ الشيبة المسلمة على الأخلاق والأداب الإسلامية المرضية وتكون حيل من الشباب متضلع في علوم الكتاب والسنّة آخذًا بنصيب من العلوم العصرية واللغة الإنجليزية حتى يكون أملاً لتأدية الواجب الديني والعلمي على أحسن ما يرجي من الشباب المسلم في هذا العصر .

وقد دعت ندوة العلماء فيما دعت إلى الوئام والتقرير بين أبناء الطوائف الإسلامية المتمسكة بتوجيه الله ورسالة خاتم الأنبياء ومضاعنة جهودهم ومساعيهم لصلاح ذات البين حتى يسهل عليهم الأمر في رد كيد الاعداء والدفاع عن حوزة الحنفية السمححة التي ما زالت تتبع عليها الحالات بعد الثورة على التنزود الأجنبي ، وزوال ملك المسلمين . وكذلك اهابت بالقائمين على المدارس الدينية . والمديرين لشئونها ان يعدلوا مناج التعليم عندم . ويسلحوا الشباب بالمواد الجديدة النافعة في مقررات الدراسات . ويقللوا من خرافات اليونان التي أكل عليها الدهر وشرب .

ومن خصائص دار العلوم (ندوة العلماء) التي لا تنازعها فيها مدرسة ولا كلية ولا جامعة في الهند كلها . أنها اهتمت بتدريس اللغة

العلامة أبو الحسن على الحسني الندوبي

العربية كلغة حية . إنشاءً ونطقاً . ونذبت لذلك أساندته من بلاد العرب في مختلف أدوارها . كما عنيت بإرسال أذكياء من طلبتها وخريجيها إلى بلاد العرب ليرتموا من مناجم اللغة العربية . ولترسخ فيهم ملكرة الأدب العربي . وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت طائفة من العلماء قادرة على الاعراب بما في ضمائرهم بلغة الصاد نطقاً وكتابة . وما تزال دار العلوم التابعة لندوة العلماء حاملة بيدما لواء لغة القرآن بأذلة الجهد المستطاع في نشر هذه اللغة الكريمة . كذلك شاركت في سائر ميادين النشاط الفكري والأدبي . وبنضل جهودها ومنهاج التربية والتعليم في دار علومها أنجبت طبقة مشفقة معتدلة بعيدة عن الجامدين والجاحدين .

وإذا كانت هذه هي غاية ندوة العلماء ورسالتها . فإن العلامة أبو الحسن الندوبي هو أعظم ثمارها في العصر الحديث . فقد عمل منذ سنوات طويلة على تناول كل ما يتصل لقضايا الفكر الإسلامي ومعضلاته . وكل ما يتصل بالشبهات المارة حوله عارضاً ذلك باللغة العربية الفصحى متخدناً بها من فوق منابر القاهرة ودمشق ومكة ولبنان . وببغداد في خلال رحلات دعوة إلى الله (من نهر كابل إلى نهر يرموك) كما أطلق على كتابه المكمل لكتابه (مذكرات سائح في الشرق العربي) وهو الآن أمين عام ندوة العلماء (لكتاؤ) بالهند . وعضو المجلس التأسيسي للرابطة الإسلامية بمكة المكرمة . وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق . وكتبه منتشرة بين يدي شباب العرب والملatin في مختلف القضايا والتحديات . لم يتوقف منذ بروز اسمه لأول مرة في الثلاثينيات . وهو منذ درج وأينما حل . وفي عاصمة كل بلد عربي وإسلامي يصدع بكلمة الحق (اسمع يا مصر، اسمع يا إيران، اسمع يا سوريا، اسمع يا زهرة الصحراء (الكويت) . اسمعوها مني صريحة أيها العرب ) :

« إن عقيدتي وديني الذي آؤمن به وأدين بفرض على أن أكون صادقاً وصريحاً . وصلتني بهذه الأمة - الدينية والثقافية - تلزمني بالصدق والصراحة والوفاء والأمانة . فم اقتناعي بأن العرب : الأمة المختارة لحمل رسالة الإسلام قد كتبوا لهم الوصاية على العالم ما داموا يدينون بهذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ . وعلى بأن هذه الوصاية لم تحول عنهم بعد ولم تبرز أمة على منصة العالم تخلف هذه الأمة وتضطلع بأمانة . ولكنني أعرف أن الزمان زمان تحول والساعة ساعة الانتقال ، كالساعة التي شهد فيها العالم أكبر تحول في التاريخ وفي جذور الأمم . ساعة مرت في منتصف القرن السادس المسيحي تحولت فيها الامامة وتحول فيها منصب الهدایة منبني إسرائيل (الأذكياء المتقين أصحاب الحضارة والعلوم والقراءات والمواهب) إلىبني إسرائيل (أو العرب) الأمة التي تغلبت عليها الأمية والبساطة والفقر والاعتزاز عن العالم - والله أعلم يجعل رسالته - فكان أكبر تحول شهده التاريخ الجديد وكان لهذا سحادث تأثير في مصير الأمم وأوضاع العالم واتجاه الإنسانية ، لم يكن لحادث سياسي وتحول اجتماعي أو ثورة أخرى » .

ومكذا نجد أن أكبر أعمال السيد أبو الحسن الندوی هو التوجّه إلى العرب يدعوهم ويوقظهم ويحرضهم على افتئاد مکانهم الحق الذي اختارهم الله تبارك وتعالى له ودعمهم إليه القرآن ورسم لهم الإسلام لقيادة العالم .

يقول : والذي يطمعني في هذه الكلمة ويغريني بها هو حبي وحرضي على أن يستعيد العرب مكانتهم العالمية ويتسلّموا هذه القيادة المباركة التي يقول الله تبارك وتعالى عن حمايتها :

« وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » وهو في هذا التوجّه إلى العرب إنما يتوجه إليهم باعتباره

عربي الأصل . وباعتباره من الأسرة العظيمة : أسرة الإسلام . فهو لا يحتملهم (ويعتبر المجاملة هزيمة خلقية وخيانة عظيمة في حق هذه الأمة التي أدين لها في الدين والأخلاق والإنسانية والشرف ويدين لها العالم والإنسانية) : يقول : « إنني لا أقل عن أي عربي يعيش في العاصم العربية في عربتي ونبي الصريح المتصل . وحبي للعرب وتضليعي في ثقافتهم وعلومهم وأدابهم ولغتهم وليس لأحد من إخواني العرب الأقحاح أولى بالاعتذار بالعربة مني وأوفر نصيباً فيها مني ولكن الإسلام أفضل من كل نسب وأقوى من كل عصبية » .

إن الأستاذ الندوی لم يهاجم شيئاً في عنف وقوة كما هاجم الاتجاه إلى القومية والفرقة والعصبية وذلك التيار العنيف الذي أراد أن يضرب الإسلام في العرب وفي المسلمين ضرباً قوياً . ويتسائل :

« هل كان للعرب أن يمثلوا هذا الدور العظيم وأن يشغلوا سمع الزمان وبصره وأن يغيروا مجرى التاريخ لو لا هذه الرسالة السماوية التي تسمى الإسلام ولو لا هذا الكتاب العظيم الذي يعرف بالقرآن ولو لا تبنيهم لهذه الدعوة الجديدة وجهادهم في سبيلها .

وهل كان لهم إذا جرت الأمور مجراماً الطبيعي أن تفرض زعامتهم وسيادتهم على الشعوب والأمم . ذات المدنيات الباهرة العتيقة والثقافات الواسعة العميقه . وإن تنتشر لغتهم في شوارق الأرض ومغاربها فتداس لغات كثيرة وتensi . وتصبح اللغة العربية من صاف دجلة في العراق إلى الوادي الكبير في الأندلس هي لغة العلم

والدين والعبادة والسياسة ينبع فيها أساتذة عظام كالجرجاني والزمخشري وأبي علي الفارسي والصنعاني والزبيدي إلى أي مساحة زمنية . كان العرب يحتاجون في الوصول إلى هذه السيطرة السياسية والثقافية ولو بقوا على وضعهم القديم . هل كان يمكن ذلك في ألف سنة ، فقد مضى على الأمة العربية آلاف السنين وهي تعيش على هامش

الأم وفي عزلة عن العالم أم كان لشعرها البلigh وأدبها الرفيع ولغتها العظيمة ان تشق طريقها إلى الإمام وتبلغ بهذه الأمة إلى ذروة المجد وآوج السيادة كما وصل بها الإسلام . فقد كانت العلاقات وكان شيء كثير مما يحتوي عليه ديوان الحماسة قبل أن يظهر الإسلام ويبعث محمد ﷺ فما أغني عنها هذا الشعر البلigh ومنذ الأدب الرفيع وهذه اللغة العظيمة . بل لم يستلتفت هذا الشعر والأدب واللغة انتباه العالم المتقدم ولم تتوفر لهم والداعي على جمعها وتدوينها ونشرها وشرحها إلا بعد ظهور الإسلام وبعد ما أصبح العرب - بفضل الإسلام - أساتذة العالم وأصبحت لغتهم وأدابهم ثروة إسلامية يجب على كل من يدين بالإسلام دراستها والتوسع فيها وحفظها » .

ويمضي في هذا الاقناع حتى يقول : « من المؤسف المحزن المخجل أن تقوم في هذا الوقت رجال يدعون إلى القومية العربية المحردة من العقيدة والرسالة وإلى قطع الصلة عن أعظم (نبي) عرفه تاريخ الأديان وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم وعن أمن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد . إنها جريمة قومية تبذ جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة . إنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ » .

ولم يتوقف الندوبي عن مقاومة هذا الاتجاه كأشفأ زيفه في كل مكان وكل خطاب مبرزا ذلك العقد الرباني الأبدى بين العرب والإسلام : « عقد الله بين العرب والإسلام للأبد وربط مصير أحدهما بالآخر . فلا عز للعرب إلا بالإسلام ولا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركب وحملوا مشعله » .

ذلك هي القضية الأولى الكبرى التي شغل الأستاذ الندوبي نفسه بها . وأولما اهتماماً كبيراً وحارب من أجلها بالكلمة وذهب إلى

كل مكان في البلاد العربية ليقدم فمه الواضح الإسلامي الأصيل إلى الناس و أنشأ من أجل ذلك دراسات متعددة منها : « العرب والإسلام . الفتح للعرب والمسلمين . اغارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام . كيف دخل العرب التاريخ » .

أما القضية الثانية التي أولاها الأستاذ الندوبي اهتمامه الكامل فهي قضية فلسطين فعالجها في عشرات من الأبحاث والمحاضرات وتابعها متابعة واسعة وذهب في البحث عن جذورها وآثارها .

لقد بحث هذا الموضوع بكل وقوع المأساة في شكلها النهائي بعدة سنين وجرت على قلمه وعلى لسانه بعض الحقائق التي تأكّدت فيما بعد ثم وقعت الواقعة فجعلها موضوع تفكيره وبحثه وكتاباته . وقد التزم في مناقشة هذه القضية ما التزم به دائياً أن يكون ذلك في ضوء القرآن الكريم والنورانيات الإلهية والسنن الربانية التي بينها القرآن وشهد بها تاريخ الأمم .

والأستاذ الندوبي لا يتحدث عن الأحداث وإنما يبحث عن الدوافع فيرى أن هذه النكبة وكل نكبة حلت بال المسلمين ترجع إلى عوامل كثيرة أكثرها داخلية نفسية ظلت تتفاعل وتعمل على طبيعي في حياة الأمة والمجتمع منذ زمن طويل . وإن الفاجعة إنما تقع نتيجة مسلسلة طويلة من الأمراض الخلقيّة والانحرافات الطائشة والتصرفات الإثمية والفالطات المتصلة والأوضاع غير الصالحة للبقاء في كل مكان وزمان . وفوق كل ذلك حياة لا يرضى الله ورسوله ولا يوافق عليها الدين الصحيح والعقل السليم .

ويرى الأستاذ الندوبي أن التخاذل في فلسطين قد مهدت له أسباب كثيرة من الأخلاق والتربيّة وان الاستعمار العربي قد فتش عن منابع القوة الكامنة في نفوس المسلمين وقلوبهم . فوجد أن أكبر منابع القوة والحياة هو (الإيمان) فعادوه وسلطوا على المسلمين

العدد ١ - المجلد ٢ - ربیع الثانی ١٤١٣هـ  
«البعث الإسلامي» العدد ١ - المجلد ٢ - ربیع الثانی ١٤١٣هـ

عدوين ما أفتک بهم وأضر من المغول والتنار ، الأول : هو الشك وضعف اليقين الذي لا شيء أدعى للضعف والجبن منه (والثاني) ما يعبر عنه بالذل النفسي وهو أن أصبح المسلمون يشعرون بالذل والهوان في داخل أنفسهم وفي أعماق قلوبهم ويزدرؤن كل ما يتصل بهم من دین وتهذيب وأخلاق ويؤمنون بفضل الأوربيين في كل شيء ويعتقدون فيه كل خير وقد ابتلى المسلمين بتأثير الحضارة الغربية والقلقة التربوية بعبادة المادة وحب الدنيا والجرى وراء النفع العاجل وكان نتيجة لذلك أن ظهر جيل من المسلمين متنور الذهن ولكنه مطم الروح أحوج القلب ضعيف اليقين ، قليل الدين ، قليل الصبر والجلد ، ضعيف الإرادة والخلق ، يبيع دینه بدنياه وأجله بعاجله ويبيع أمته وببلاده بمنافعة الشخصية .

ويرى الأستاذ الندوی ان هذه هي العوامل الأساسية في الهزيمة في فلسطين وفي غيرها فإن هذا مصدر كارثة العالم العربي . ثم يقول :

«إن قضية فلسطين سهلة مينة وانتصار العرب فيها مضمون إذا كانوا أحرازاً في تصرفهم . مالكين لزمامهم . مدربين لسياستهم . مغامرين بأرواحهم وجندهم محكمين لسيفهم وسنانهم . واثقين بنصر الله تبارك وتعالى معتمدين على سواعدمن فقط متربدين على المادة والشهوات » .

وأن سقوط الهمة يتمثل في عوامل ثلاثة :

١- الحصارة الغربية والشروع الهائلة التي تدفقت على العالم العربي وقد أفرت هذه الحصارة وهذه الشروع في أخلاق هذه الأمة الإسلامية العسكرية بالطبيعة والتاريخ والمتقدمة الزادمة بحكم الرسالة والوراثة تأثيراً عميقاً قلبه رأساً على عقب فتفشت فيها روح التنعم والترف والرقابة والأخلاق إلى الراحة فقدت روح الفروسية والفتواة

«العلامة أبو الحسن على الحسني الندوی»

العربية والنخوة واحتمال المصائب والثبات في معركة الحياة واستهانة الناس بأحكام الله (تبارك وتعالى) وفرائضه وتجرأوا على المحارم داخل العلماء بوا Higgins الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركوا الحسبة على الناس وكلمة حق عند سلطان جائز .

٢- ظهور نزعه القومية . فقويت هذه العصبية على حساب العصبية الإسلامية وأصبحت ديانة وعقيدة يتغنى بها القوميون ويتحمسون لها كما يتحمس أهل الديانات والملل لدياناتهم وشرائعهم ويرون فيها عوضاً وخلفاً عن الدين الإسلامي الذي أكرمه الله بالإيمان به والانتصار له والتفاني في سبيله .

ومكذا يصور الأستاذ الندوی الأمور ويكشف عن خفاياها ويضعها أمام ضوء القرآن .

والقضية الثالثة التي عني بها الأستاذ الندوی وشغل بها : هي قضية الحضارة الغربية والخطر الماحق الذي يحيط بال المسلمين والعرب نتيجة إيمانهم بها وتهالكهم عليها : يقول : « لقد تغلغل تقدير الحضارة الغربية بقيمها ومناصيمها وتصوراتها ومظاهرها التي لا تقدم ولا تؤخر في مضماد القوة والحياة الكريمة في أحشائهم وامتزج بلحومهم ودمائهم حتى أصبح من المستحيل تحريدهم عنه وأمنوا بأن هذه الحضارة الغربية والفلسفة المادية قد بلغت القمة من العقل ورقى البشر وحال تعصبهم لهذه الحضارة والفلسفة الغربية عن أن يطلعوا على مواضع الضعف والاختراق فيها كما اطلع عليها رجال الغرب أنفسهم » .

هذه هي الصورة التي يجدوها الأستاذ الندوی للمجتمع الإسلامي وينذر بخطورتها ويدعو إلى التحرر منها وفي سبيل ذلك يدعو إلى منهج في التربية الإسلامية يتحرر به المسلمون من الناجم الوافدة ويلتمسون فيه روحهم الأصيل : روح الإيمان بالله والفضيلة

## ويمكرون ويمكر الله

بقلم: د/ محمد بن سعد الشويعر  
رئيس تحرير مجلة «البحوث الإسلامية» الرياض

يتعاون أعداء الإسلام مهما كانت نحلهم ومبادؤهم . ليكونوا كتلة موجهة ضد الإسلام . وقوة متماسكة في محاولة الإساءة إليه . وإلى مبادئه ورجالياته . وخلف هذا أسباب عديدة ، ووراءه أهداف خفية لا يدركها إلا من حباء خلقه قدرة على الفهم . ومعرفة بخفايا الأمور . وإحاطة بنماذج من المحاولات والدسائس التي تحاك في الخفاء ضد الإسلام وأمته . وتطفح نتائجها على السطح . كلما ضعف رجال الإسلام . وومنت قواهم في الدفاع عنه .

والخير والشر ضدان يتصارعان منذ خلق الله آدم . وأمر جل وعلا ملائكته بالسجود له . فعمى إبليس وتجبر على أمر الله . عناداً و McKabira .

وهي حكمة أرادها الله . حتى يهلك من ملك عن بيته . وينجو من ينجو على علم ودرأة .. فالله جل وعلا يبين أوجه الخير . وسبل الرشاد لعباده . فتوضحها الشرائع . وتهدي إليها الرسل . وينتهي طريقها الدعاة والعلماء . توضيحاً وإبانة . حتى تقوم الحجة . وتنتهي المحجة .

وتاريخ الإسلام الطويل مع الملل الكافرة . والنحل المنحرفة . حافل بالصراعات العديدة . ومبين للخطط التي وضعها والشيمات التي طرحت .

بل إن رسول الله ﷺ قد أبان في قاعدة عامة سوف يبرز في الساحة الإسلامية من إدعاءات وخلافات . يتقى المؤمن المخلص شرها . ويعرف المسترشد مكان الصعف فيها . ليدرك المرتبة العالية التي يجب عليه أن يتبوأ . والمكانة السامية التي يحلها الإسلام للمؤمن المخلص . والمتابع العريض على ترسم الخطى السليمة . و السير وفق النهج

و والإيمان بالآخرة .  
ومن أبرز القضايا التي أولاما امتقامه الكبير (نصح المسلمين حينما يصل إليهم) فهو حينما يذهب يتحدث إلى المسلمين كاشفاً عن الأخطار . فهو يصارح الجميع بكل الأخطار . فهو في أفغانستان يتحدث عن تفلل الثقافة العصرية وأفكار المبشرين والمستشرقين . وفي إيران يتحدث عن التقارب بين السنة والشيعة . كذلك نجد العلامة الندوبي يوجه سهام النقد مسددة في قوة إلى النحلة القاديانية إيماناً بأنها ثورة على النبوة والإسلام . فقد حمل حملات شديدة على هذه النحلة وما جمها وكشف سترها وزيف دعواها وأعلن أن القاديانية منبع الفساد في جسم العالم الإسلامي .

وبعد . فذلك تاريخ طويل لمصلح إسلامي عملاق لا يمكن الاحاطة به في تقديم متواضع لم يترك قضية من قضايا العصر تتعلق بال المسلمين خلال أكثر من خمسين عاماً إلا تناولها ووضع لها الحلول واستقى علاجها من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه . وكانت السنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ هي منطلقه منذ الكلمة الأولى إلى الكلمة الحاضرة . ومن هنا كان لا بد أن يقدم للمسلمين ولشباب العصر سيرة هذا النبي الخاتم الذي جاء بر رسالة التوحيد وقد كتبها بذوب القلب وعصارة الروح على مذهب أهل السنة والجماعة بعيداً عن الفلسفات وعلوم الكلام وأساليب الغرب . فجعلها نبوية إسلامية ربانية وهذه هي التي بين يديك الآن . أطال الله عمره وجزاه عن المسلمين خير الجزاء .

والحرص على التمسك بحركهم الحقد . وتحفظهم الضفينة كما أخبر الله عنهم في مواطن كثيرة من كتابه الكريم .

### ما أشبه الليلة بالبارحة :

والمخططون لغزو الإسلام يستترون دائمًا . لعدم قدرتهم على المواجهة . ولخوفهم من قوة الإسلام ، ولذا نراهم يتحينون الشertas لينفذوا منها ، ويهتبلون الضرر ليطعنوا المسلمين في ظهورهم .

وإذا كان المنافقون في المدينة قد غلا الحقد في صدورهم عند ما ماجر الرسول ﷺ إليها من مكة . وكونوا طابوراً خامساً يرجفون في المجتمع المدني بأفوايلهم . ويتعاونون مع أعداء الدعوة في داخل المدينة وخارجها . فإن القرآن الكريم قد فضح أعمالهم . كما جاء في سورة التوبة وغيرها . بل أظهرت المواقف الحرجة مكنون نفوسهم . وتلفظت ألسنتهم بما يعبر عن بواطن القلوب . فكروا بعد إيمانهم . وأغلل باب التوبة أمام نفوسهم الضعيفة . وظهر إدعاؤهم المهزوز للإيمان . فقال تعالى في حكاية حالهم : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الصالون » (سورة آل عمران . الآية : ٩٠) .

ولكي يتربوا لأعداء الله في التزلف إليهم . وعمل كل ما يرضيهم . فإن تلك الفئات من البشر في كل عصر ومصر يمردون على النفاق . لحقدم الدفين . وبغضهم لدين الله وأنصاره . وموالاتهم لأعداء الله ورسالاته ورغبتهم في إرضائهم بأعمال عدوانية . فقد وجد منهم أشخاص أبرزوا حقدم على رسول الله ﷺ . وظهر استهزاؤهم بما جاء به ، وأذوه وأصحابه بأمور عديدة . تأخذ منهم النماذج الآتية : عبد الله ابن أبي بن سلول . وكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق .

= عبد الله بن أبي بن سلول كان رأس المنافقين في المدينة وقد حاول خذل المسلمين بانسحابه بين معه في وقعة أحد . وعند التهئ لغزوة تبوك . وكان كلما حللت بالسلميين نازلة فرح بها . وشمت بهم .

القريم . فيقول ﷺ : « افترقت اليهود على اثنتين وسبعين فرقة . بإحدى وسبعين في النار ، وواحدة في الجنة ، والذى نفسى بيده لتفترقن أمتي على ثلات وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، واثنتين وسبعين في النار » قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : الجماعة . تفرد به أبو داؤد عن وهب بإسناده إلى عوف بن مالك .

وقد اهتم علماء الإسلام رحمهم الله برصد تلك الفرق والنحل في مؤلفات عديدة . وبالتبني نجد أن شبهات الأمم السابقة تلبس ثوباً جديداً . وتقدم في عرض جديد في المجتمع الإسلامي . رغبة في الببلة وإثارة الحقد على هذا الدين . والتشكيك فيه وفي تعاليمه . والتغري بالسذاج ومركبي النقص من أبناء المسلمين ليكونوا شعاراً للمأرب ومطية توصل إلى طعن الإسلام .

ذلك أن الكفر ملة واحدة . والموقد لنار الفتنة يهمه أن يبتعد البشر عن الدرب الصحيح الذي ارتضاه الله للصفوة المختارة من خلقه كما قال تعالى : « وَذَوَا لَوْ تَكُونُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءٌ » (سورة النساء . الآية : ٨٩) .

ولئن كان الحقد والشر . والعناد والمكابرة . خلف ذلك الصراع . فإن الدارس المتمعق يدرك أن جذور الخلاف والعصيان لأنبياء الله جميعهم . والشبهات التي تطرح لإفساد مسالك الدرب الصحيح متقاربة ، وفي كل جيل . ومع كل أمة تعرض بقابل يتلاءم مع الحالة التي قصدت . نلمس مثل هذا من استقراء حوادث وسير أنبياء الله مع أسمائهم . حسبما قص علينا القرآن الكريم . أو أخبرنا به رسول الله ﷺ .

وما ي يجب أن يتسلح له المؤمن ويدرك أبعاده . ليكون على أهمية الدفاع عن دينه . وسلامة عقيدته . لأن أعداء دين الله يتحينون الفرصة . كلما لاح لهم بارق ضعف في الصف الإسلامي . وكلما آنسوا من المسلمين حرضاً على دينهم . ومحافظة عليه . فهم في الضعف يعيثون في التشبيس ووضع الشبهات والنفاذ مع مداخل الجهل والبعد . وفي اليقظة

بأسماء إسلامية . في تحقيق المهمة بطعن الإسلام بحنجر من أيدي المسلمين . وإيجاد فرق وثغرة بين أبناء الإسلام . حتى يسهل عليهم إعانة من يتقمص الرداء الإسلامي . وتتفرق الأمة الواحدة . خلف مقاصد وغايات متباعدة .

وما غلام أحمد مؤسس القاديانية المولود في الهند عام ١٨٢٥م . إلا امتداداً لجذور الشر . حيث ظهر في الآونة الأخيرة داعياً من دعاء الشر والفساد . طفتحت صفحات الأخبار ومقالات الاستنكار لما قاما به . وتتابعت وسائل الإعلام في التنديد بجرائمها على الاستخفاف بشرع الله والنيل من تعاليم هذا الدين . وليس من المناسب ذكر اسميهما لأن حصنه المنيع وأراحوا الإسلام من شره عام ٢/٢هـ .

#### الاستنكار الشديد:

وفي الوقت الذي يرناح كل مسلم للرأي الصائب الرصين . فإنه يستنكر مع علماء المسلمين في مكة المكرمة في مؤتمرهم بالجمع الفقهي . ما تجرأ به هذان الأفا كان من نيل للإسلام . واستخفاف بتعاليمه . ذلك أن الأول منها قد ادعى الرسالة . وأنه خليفة لحمد ﷺ - قاتله الله على هذا الزعم - وادعى لنفسه أموراً في النظرة العامة نحو هذا الدين . فكانه مشرع للأمة بحيث يضع في تعاليم هذا الدين ما يحلوه . ويباعد عن الناس ما تعدّ له نفسه . وتارة يطعن الصحابة رضوان الله عليهم بالتهاون في المحافظة على القرآن الكريم . عند ما ادعى زيادة آيات في بعض السور اقتراح حذفها . وكتبه لم يقرأ قول الله تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنما له لحافظون» إن من يقرأ ويسمع ما يصدر عن ذلك البهائي المتعمق في عدائه للإسلام . رغم ادعائه الإمامة فيه . فالبهائية والقاديانية وغيرهما من الفرق التي كفر بها المسلمون لعتقداتهم الفاسدة . ونواياهم السيئة نماذج لامتداد جذور الشر . وتعاون بعض العناصر التي تدعى الإسلام . مع أعداء دين الله . ليضفيوا على دعواهم الصبغة الشرعية . ولسيتفلوا ادعاءهم للإسلام . وتسويتهم

= أما كعب بن الأشرف . فهو شاعر جاهيلي كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية . وقد أكثر من مجو النبي ﷺ وأصحابه . وتحريض التبائل عليهم وإيذائهم . وأذية نساء المسلمين . ولما اشتد أذاءه . قال ﷺ : من لي بابن الأشرف فقد أذى الله ورسوله؟ فتبارد الصحابة دفاعاً عن دينهم . وحمية نبيهم ﷺ . وانطلق إليه خمسة من الأوس . فقتلوا في حصنه المنيع وأراحوا الإسلام من شره عام ٢/٢هـ .

= أما سلام بن أبي الحقيق فكان من يهود خبير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة . لما تفاقم شرمهم . وقد حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ . فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ لكي يتوازنوا مع بني عمهم الأوس في فضل الدفاع عن الإسلام . وملحقة أعدائه . وقتل هذا الطاغية . الذي ما فتئ يحرض ويدفع المال في سبيل الإجهاز على رسول الله ﷺ . فلما أذن لهم حرج منهم خمسة نفر فبيتوا أمرهم . ودخلوا عليه في حصنه . فتسابقوا في قتلها حتى أراح الله المسلمين منه . وبشرروا رسول الله ﷺ بقتله في سنة ٥/٥ من الهجرة .

وغيرهم من تطفع أخبار أعمالهم السيئة بسيرهم . وجهودهم المدافعة في محاولة الإضرار بالإسلام . والإساءة إلى أبناء الملتزمين بشرائعه في أنفسهم أو أغراضهم .

فنرى نظائر لذلك في كثير من الأزمنة . وفي مواضع من بقاع الأرض . فالبهائية والقاديانية وغيرهما من الفرق التي كفر بها المسلمون لعتقداتهم الفاسدة . ونواياهم السيئة نماذج لامتداد جذور الشر . وتعاون بعض العناصر التي تدعى الإسلام . مع أعداء دين الله . ليضفيوا على دعواهم الصبغة الشرعية . ولسيتفلوا ادعاءهم للإسلام . وتسويتهم

الشروع ، ومصباحاً يضيء أمامهم المعالم ، مثلما كان يروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، ذلك الصحابي الذي اتصف بأمانة سر رسول الله ﷺ ، فقد كان يقول : كان الناس يتعلمون الخير . و كنت أتعلم الشر مخافة الوقوع فيه .

وإن معرفة آراء مثل مؤلأء ، ليدعو للتتبع من وراء القناع ، ومعرفة اليد الخفية التي تدير الأمور ، والترصد للأهداف البعيدة المقصود بها أمة الإسلام . حتى يتوقى أبناء الإسلام أخطارها . ويعرف المنافقون فيرتق خللها . ليسهل حصرها في مكان لا يسمح لها بالانتشار والتكاثر .

إن المتبع لأمثال تلك الأفكار يرى أنها من الصحالة ، بحيث لا تصد لعوادي الدهر ، وأن البقاء دائماً للأصلح :

فالحق أبقى و إن طال الزمان به

والشر أختى ما أوعيت من زاد ودور المسلم ألا يكون في موقع المدافع الضعيف . بل عليه أن يكشف الزيف . ويوضع الحق بطرائقه . ومسئوليية العلماء الإبانة . وتحلية الأمور . وهذا جزء من الدفاع عن شرع الله . والذود عن حمى الإسلام فمن ابتعد عن الفتنة و مظانها فهو فارٌّ بدينه . حريص على عقيدته ، كما قال ﷺ : أحب عباد الله إلى الله الغرباء .. قيل ومن الغرباء . قال الفراعون بدينه . يجمعون يوم القيمة إلى عيسى بن مريم .. وهذا الفرار يكون لمن لا يقدر الدفاع ، أو رد الشبهات . أما من يدرك ذلك فإن دوره أمكن والواجب عليه الزم لأن الله يقول : « فإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

حب الشهرة : وشر الأمور أن يكون حملة تلك الأفكار « السيدة » وباسطوا تلك الآراء الشاذة ، من كانت قلوبهم ، مريضة ، ونفوسهم دنيئة ، فيندفعون خلف مطبع مالي . أو لرکب نقص في شخصياتهم فيحبون البروز والشهرة . حتى يشير الناس إليهم بالبنان ، وتتناقل الألسن أخبارهم ، فلا يتورعون من إرضاء من دفعهم بأي أمر يريدونه .

أما الثاني : فهو أشر من الأول . ذلك أنه ألف كتاباً وصم فيه أبا الأنبياء . وخليل الرحمن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بصفات يقشعر من ذكرها البدن . ويجت القلم خجلاً من تسطيرها . كما وصف أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم . ونساء الجيل الأول من هذه . بأقدر من البهتان الذي جاء ذكره في سورة النور . حيث توعد الله عليه بالعقاب الأليم . واستهزأ بأيات الله ورسوله الكريم بعبارات هي أشد وقعاً مما قاله المنافقون . من حكى الله خبرهم في سورة التوبة . وقرعهم بعقاب زاجر عند ما قال سبحانه : « لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » .

وأي استنكار أشد من أن يساء إلى الإنسان في دينه . وأن يأتي من يتطاول على من أكرمه الله . ومل هذا إلا بدافع عدائي . وبغض متأصل للإسلام وشرائعيه . ومن شخصية سافله . لا تتحرك إلا على جرح المشاعر . وتعمد الإساءة . وعلى من سلك مثل هذا الدرب أن يتحمل التبعات . ويتجرع مرارة الملاحقة كما يقول الشاعر :

و من دعا الناس إلى سبة

سبوه بالحق و بالباطل

ومثل مؤلأء ، ونظائرهم في هذا الزمان كثير . من يبيعون آخرتهم بدنياتهم ، ويشترون بالشهرة ومحاولة إرضاء الأسياد . ما يدفعهم للإساءة إلى دين تسموا باسمه . وعاشت أسرهم في أكناfe . فكانوا تيماً مستمراً تشتري ضمائرهم . وتدفع إليهم الأموال أجراً في الإساءة للإسلام ، الذي أزعج أعداءه اليقظة الجديدة فيه . والقرب من شبابه إلى معانيه فهماً . ولشرائعيه تطبيقاً ومحافظة .

ومهما كان فإنه يجب أن تكون تلك الأبواق سواء كانت صحافة أو أي وسيلة إعلامية . أو كتاباً تنشر . أو مبادئ تعلن . أو أي أمر يقصد به الإساءة للإسلام وأهله . والتعريض بالمهتمين به والمحافظين عليه . هذه الأمور وغيرها . يجب أن تكون لفاماً يحسن أبناء المسلمين ضد

## الدعوة الإسلامية:

# الإحسان وأثره في حياة المسلم

**بِقَلْمِ الدُّكْتُورِ شَفِيقِ أَحْمَدِ خَانِ النَّدُوِيِّ**  
**الْأَسْتَاذِ الْمُشَارِكِ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا**  
**بِالجَامِعَةِ الْمُلِيَّةِ إِلَّا سَلَامِيَّةِ - دَلْهِيِّ**

الإحسان فكرة مهمة في الشريعة الإسلامية ولها مكانة رفيعة في حياة المسلم وأثر إيجابي ببناء على المجتمع البشري بشكل عام.

وهو لغة في المعاجم الشائعة : فعل ما هو حسن (١) ونفي التنزيل العزيز : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أساءتم فلها » وكلمة الإحسان شاملة لعدة معان حسب استخداماتها اللغوية . أولها : استخدامها بدون صلة . مثلاً هو أحسن العمل أي أتقنه كما ورد في القرآن الكريم : « وصوّاكم فأحسن صوركم » وثانيها : باستخدام صلة « بـ » ومعناه القيام بحسن السلوك والمعاملة الحسنة نحو قوله تعالى : « وبالوالدين إحساناً وذي القربي واليتامى والمساكين » إلخ .. وثالثها : استخدامها بصلة « إلى » في مفهوم المـن نحو قول الله عزوجل : « وأحسن كما أحسن الله إليك » .

قال سيدنا عليٰ كرم الله وجهه : «الناس أبناء ما يحسنون . أي منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملون (٢) » وأمرنا الله عز وجل بالإحسان بقوله في القرآن : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي » فسمعه أبو عبيدة في

(١) راجع : ١- إبراهيم أنيس وزملاؤه : المجم الوسيط : دار إحياء التراث العربي . ط. ٢/١٩٧٢ . ج/١ . ص/١٧٤ .

ج

٣- حسـ. محمد مخلـف : كـلـاتـ القـآنـ ١٨٩ـ /ـ مـ.

٣- حسين محمد مخلوف : كلمات القرآن . ص ١٨٩ .  
 (٢) راغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص ١١٧ .

العدد ١ - المجلد ٢٧ - ربیع الثانی ١٤١٢هـ

خطب الجمعة كالمعتاد، وجعل الله القرآن تبياناً لكل شيء حيث قال : «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء» ذلك إن دل على شيء فإنه يدل على أنه هو منارة مداية ومصدر سعادة وفتح كنوز الحسنات في الدنيا والآخرة . وقال ابن مسعود رضي الله عنه ، طبقاً لما نقله الشيخ شبير أحد العثماني في تفسيره للقرآن الكريم باللغة الأردية : إن الله عز وجل جمع كل بيان لكل خير وشر في هذه الآية . فما من عقيدة وخلق ، ونية وعمل ومعاملة حسنة أو سيئة إلا وتضمنت فيها أمراً أو نهياً . ولعله من أجل ذلك التزم الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بهذه الآية في نهاية كل خطبة الجمعة وخلف قدوة حسنة لنا وللامة عمارة ، تأمرنا الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والمقصود من العدل هو أن تتم سائر أعمال الإنسان وأخلاقه ومعاملاته متزنة على كفالة الاعتدال والإنصاف من غير إفراط وتفريط بموجب قوله تعالى : «ولا يجرمنكم شأن قوم على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى» فالإحسان فوق العدل ، على حد تعبير راغب الأصفهانى في المفردات في غريب القرآن ، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له ، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له . على العدل فتحري العدل واجب وتحري الإحسان ندب وتطوع ، على هذا قوله تعالى : «ومن أحسن ديناً من أسلم وجهه لله وهو محسن» قوله عز وجل : «وأداء إليه بإحسان» ولذلك عظم الله تعالى ثواب الحسنين فقال تعالى : «إن الله مع المحسنين» ثم قال : «إن الله يحب المحسنين» (١) .

(١) ترجمة معاني القرآن بعلم شيخ الهند محمود الحسن مع تفسير الشيخ شبير أحمد العثماني باللغة الأردية : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م . ص ٣٦٦ في سورة النحل . الآية : ٨٩ : «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ورحة وبشرى لل المسلمين . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ... إلخ .

أما اصطلاحاً في باب العبادات فإنه (١) عبارة عن تادية العبادة أنها كان نوعها من صلاة أو صيام أو حج أو غيرها أداء صحيحاً . باستكمال شروطها وأركانها واستيفاء سننها وأدابها . وهذا ما لا يتم للعبد إلا إذا كان حال أدائه للعبادة يستغرق في شعور قوي بمراقبة الله عز وجل حتى كأنه يراه تعالى ويشاهده أو على الأقل يشعر نفسه بأن الله تعالى مطلع عليه وناظر إليه فبهذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته . ويتحققها فيأتي بها على الوجه المطلوب والصور الكاملة لها . وهذا ما أرشد إليه الرسول ﷺ في قوله : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فقد ورد في الصحيحين عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ذات مرة وصل سائل إلى رسول الله ﷺ بغاية من الطمأنينة وغرابة الهيئة واستفسر عن الإسلام أولاً : ثم عن الإيمان . ثانياً . وأخيراً : عن الإحسان فأجاب عليه الرسول عليه السلام بأن الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . ثم أجاب على السؤال . الثاني : عن الإيمان وهو العقيدة الباطنة التي تتوطن في القلب فكان جواب النبي ﷺ عنه : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبال يوم الآخر وبالقدر خيره وشره» وذلك لأن الإسلام لن يحتل في العبد عملياً إلا على قدر رسوخ إيمانه واستحكام جذوره في القلب . أما بالنسبة إلى السؤال الثالث عن الإحسان . فقال عليه السلام : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فهكذا تقرر الإحسان مرحلة نهاية لإكمال الدين الحنيف . ولما استغرب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في شأن هذا السائل وازداد عجبهم فأخبرهم الرسول عليه السلام : « بأنه كان جبريل أتاكماً ليعلم دينكم» والمقصود من ذلك أن العقيدة عقيدة

(١) أبو بكر جابر العزائري : مهاج اسمه مكتب الكليات الأرمنية . ساق نسخة ١٩٧٩م . ص ٤٠٤ . ط ١ .

القرآنية المائلة الأخرى في نفس الوقت نحو « وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب » و هو معكم أينما كنتم « و هو عليم بذات الصدور » « و لا تخفي عليه خافية » و نحن أقرب إليه من حبل الوريد « و نحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون » « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » « ألم يعلم بأن الله يرى ».

ولا يخفى على أحد أن الإسلام لا يفرق بين الدين والدنيا ولا يعتبر العبادة محصورة فيما بين جدران المساجد بل ويراما شاملة لجميع نواحي الحياة . إنه يحضر المسلمين على تطبيق شريعة الله وتصبّع دنياهم بصبغة الإله الواحد القادر الصمد الذي لم يزل ولا يزال وإدارتها طبقاً لأوامره بغية مرضاته في كل حين وآن . ولذلك وجب علينا أن نرى خالقنا وربنا في كل وقت ونجعله نصب أعيننا . هو الذي خلقنا وسوانا وأكرمنا بنعم لا تعدو لا تحصى وأدام نعمه علينا ظاهرة وباطنة وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ويدرك خلجان قلوبنا و وساوس أنفسنا ويدبر أحجزة أنفسنا ويحدد أعصابنا ويدبر أنظمة عينا وإدراكتنا بصورة كاملة . ولماذا لا نرکز أنظارنا على ربنا المعبد الذي يمدنا بأرزاقنا من تحت بطون الأرض ويرتب نظام حريان قوتنا بدورة دموية فيما بين الأعصاب والشرايين . وينظم أنظمتنا الخاصة بالسمع والبصر والبصرة وما إليها بصورة دائمة ومتواصلة . وكيف يمكن نسيان ذلك الذات الإلهي الذي يجدد أعمارنا مع كل أنفاسنا المتتجدة كما قال شاعرنا « فإني » باللغة الأردية ما معناه :

( إن كل نفحة يتنفسها الإنسان هي بمثابة ميت لعمره المضي . أما الحياة فإنها عملية تكرار وتردد الحياة عقب الممات ) ولو سعدنا بقدرة البصرة لرأينا وجود ربنا في أنفسنا بالذات بسوجب قوله : « وفي أنفسكم أفلأ تبصرون ».

فلم لا نراه إذن في عباداتنا وفي معاملاتنا كذلك ومن القصر

يقول العلامة الشيخ سيد سليمان الندوبي ، وقتاً للأستاذ الدكتور محمد أشرف خان في تأليفه المعروف بـ « سلوك سليماني » عن توجيهات الشيخ المغفور له التربوية . إن استحضار فكرة رب العالمين يؤدي إلى مقام الإحسان الذي هو رأس تسلية أولياء الله الصالحين . والإحسان حال ترسخ جذوره برسوخ جذور فكرة الاستحضار الإلهي بصورة تلقائية . أما حقيقة الإحسان فإنها كما يرآها الشيخ الندوبي أن تتم تأدية الأعمال مثلاً تتم تأديتها على أيدي الأجراء أمام رب العمل . يسعد بها العارف فيشعر بالتقريب إلى الله ويشتغل في مناجاة معبوده اشتغالاً يزوده بنوع من السكرة الإلهية السرمدية الروحية . ولما كان إدراك كنه ذات الإله مستحيلاً لكونه وراء الوراء فإنه من اللازم أن نعتقد بنكرة التقرب الإلهي ومعيته بصورة إجمالية من غير التعمق في تفاصيلها وكنها إذ أنها كيفية لا يعرفها إلا العلماء الراسخون في مقام الإحسان ولا تخص إلا بصفات الأسماء الحسنى والتي لا بد لنا من استحضارها في كل حين وآن . واتخذ مصلحاً هذه الأمة تدابير متنوعة في سبيلهم إلى إيقاظ هذه الكيفية في نفوس مسترشديهم بما فيهم الشيخ نفسه فإنه كتب مرة إلى بعض طلابه ومربيده بهدف توصيله إلى مقام الإحسان كالتالي : ينبعي لك الآن أن تشرع في الجلوس لمدة معينة يومياً لذكر الله عز وجل ولتردد « الله معي » وردد ذلك مراراً وتكراراً وتدبر مفهومها معاً واذكر الآيات

الطريقة في ذلك أن أحد الشيوخ كان يخص تلميذاً له بالرعاية والإقبال أكثر من غيره فسألوه في ذلك فقال: أبین لكم، ودفع إلى كل واحد من تلاميذه طائراً وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلى هذا التلميذ طائراً مثلهم، فمضوا ورجعوا كل منهم وقد ذبح طائره ولكن هذا التلميذ جاء ولم يذبح طائره، فقال له الشيخ: ملا ذبحته، فقال: أمرتني بأن أذبحه بحيث لا يراني أحد ولم أجده موضعاً لا يراني فيه الله عز وجل، فقال الشيخ: لهذا خصته بالرعاية والإقبال، وهذه الدرجة الخاصة بالإحسان لن تتأتي إلا بعد الإسلام والإيمان وهي التي تؤدي إلى محبة الله بناء على قوله: «وأحسنوا إن الله يحب المحسنين» ويبشر أيضاً برحمة لأمثال مؤلأء المحسنين بقوله: «إن رحمة الله قريب من المحسنين» إذ أنهم عباد مخلصون يسلمون لله وحده ولا يشركون به شيئاً في قدرته ويعدون وجود القدرة في غير الله شركاً خفياً بمعنى أن لا يشهد الإنسان مع الله خالقاً سواه ولا قادرًا غيره فكل ما سواه نجم آفل وظل زائل إيماناً بالآية الكريمة: «كل من عليها فانه ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» وينادون بمثل ما يأتي:

الله قل وذر الوجود و ما حوى  
إن كنت مرقاداً لنيل كمال  
فالكل دون الله إن حقته  
عدم على التفصيل والإجمال (١)

قال الله تبارك وتعالى: «بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (سورة البقرة، الآية:

(١) عبد الحفيظ فرغلي القرني: التصوف ومقام الإحسان: مجلة الأزهر نوفمبر ١٩٧٩ م، ص/٢٤٢٢.

١١٢) وقال في موضع آخر: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور» (سورة لقمان، الآية: ٢٢) وبداية هذا المقام عند أولياء الله هي التوبة وتعني الرجوع عن أمر مذموم في الشرع إلى كل أمر محمود فيه مع الندم على ما حدث من المخالفات، والتوبة مقام خطير من مقامات المحسنين وأولياء الله الصالحين يبدأ بالتوبة من المعاصي وينتهي بالتوبة من الخواطر حتى قال ذو النون المصري وقد سئل عن التوبة: توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وقال سفيان الثوري: التوبة أن تنتوب من كل شيء سوى الله عز وجل وشتان ما بين تائب يتوب من رؤية الحسنات وإذا تحقق المرید بالتوبة على هذه الصورة فقد وضع قدمه الصحيح على طريق الإحسان الذي يشاد في حقائق الإنعام والإحسان ولن تتم هذه التوبة إلا بالمجامدة الصادقة لدعاعي النفس وكبحها بلجام التقوى: وقد ورد لفظ الإحسان في القرآن الكريم مقرونا بكلمة التقوى في مواضع كثيرة على سبيل المثال: «إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» (سورة يوسف، الآية: ٩٠) وذلك يدل على أن المحسنين هم أهل التقوى والصبر كما قال: «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنوون» (سورة النحل، الآية: ١٢٨) وقال: «إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» سورة يوسف، الآية: ٩٠ ولذلك فإن التقوى تعني مدلولاً خطيراً عند أولياء الله الصالحين ويفتح الباب إلى مقام الإحسان.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلت فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرج ذبيحته» (صحيح مسلم) وأكد القرآن الكريم على الإحسان بصيغ مختلفة ٧٥/مرة، إنه أمر بالعدل وهدى إلى استكمال بالإحسان ولم يحصر ذلك في دائرة العبادات بل وأراد أن يرى

السبيل وما ملكت أيمانكم » (سورة النساء ، الآية : ٣٦) سمة المحسنين المحبوبين لدى الله جل وعلا الإنفاق في السرّاء والضرّاء وكظم الغيط والعفو عن الناس . كما في قوله : « سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكافظمين الغيط والعافين عن الناس . والله يحب المحسنين » (سورة المائدة ، الآية : ١٣٤) وفي هذه الآية إشارة لدى بعض المفسرين (١) إلى أن درجة المحسنين أفضل من درجات النفقين والكافظمين والعافين إذ أنهم لا يكتفون بها ويتقدموه بمزيد من اختيارهم الإحسان ، قيل إنه أغاظ أحد السلف غلام له غيظاً شديداً فهم بالانتقام منه فقال الغلام : والكافظمين الغيط . فقال الرجل : كظمت غيظي . فقال الغلام : والعافين عن الناس . فقال : عفوت عنك . فقال الغلام : والله يحب المحسنين . فقال اذْمِبْ فَأَنْتَ حَرْ لَوْجَهِ اللَّهِ تَعَالَى . (٢) .

هذه هي فكرة الإحسان فيما بين القرآن والسنّة ، إنها ذروة الإسلام والإيمان وأساس تزكية النفس وإصلاح الباطن وروح الدين والشريعة الحنيفة البيضاء التي لا يتحلى بها المؤمن إلا ويسعد بنعمة الأخلاص والتقوى المؤدية إلى قدوة نزية وذكى للنجاح في الدنيا والآخرة .

» ومن أحسن قولًا من دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال : إنني من المسلمين »

(١) عبد الماجد الدربيابادي : تفسير القرآن الكريم : (المعروف بالتفسير الماجدي) باللغة الأردية . تاج كمبني لامور .

(٢) أبو بكر جابر الجزائري : المصدر السابق . ص ١٨٦ .

حيوية الإحسان في جميع نواحي (١) الحياة ، إنه بشرنا بما يأتي : إن المتقين في جناتٍ وعيونٍ . أخذذين ما آتاهم ربهم . إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلاً من الليل ما يهجمون . وبالأصحاب لهم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (سورة الذاريات ، الآية : ١٥-١٩) واعتبر القرآن الكريم الجهاد في سبيل الله صفة مميزة للحسنين حيث قال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . وإن الله لم يحب المحسنين » (سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩) كما أنه عَدَ الصدق والتصديق بالرسالة سمة مدوحة للمتقين والمحسنين » والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم . ذلك جراء المحسنين » (سورة الزمر ، الآية : ٣٢-٣٤) وعلم الناس الإحسان كجزاء وحيد للإحسان : « هل جراء الإحسان إلا الإحسان » (سورة الرحمن ، الآية : ٦٠) ثم أكد لنا على القيام بالإحسان مع العباد بإحسان الله إلينا : « وأحسن كما أحسن الله إليك » ومن خصائص المحسنين المحبوبين عند الله العفو والصفح بموجب قوله : « فاعف عنهم واصفح ، إن الله يحب المحسنين » (سورة المائدة ، الآية : ١٢) أما الصبر فعليه الأجر والصابرون هم المحسنون : « واصبر فإن الله لا يضيع أجر الحسينين » هذا وأمرنا الله جل وعلا في كتابه الحكيم بالإحسان إلى الوالدين على وجه الخصوص بقوله : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً . إما يبلغن عنك الكبر أحدهما أو كلامهما فلا تقل لهما أفي ولا تنهرهما وقل لهم قولًا كريماً . واحفظ لهم جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » (سورة الإسراء ، الآية : ٢٢-٢٤) كما أنه أكد فيما بعد على الإحسان « وبدى القربي واليتامي والمساكين والجار ذي القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن

(١) أحمد حسين كوك : الموابد السبة في الخطب المبرية : مكتبةتراث الإسلام . حلب ١٩٨٤ م . ص ٤٩ .

ركعة واحدة . فعلى هذا نرى أن الأمر كان (٢) .

### استعجابه من إنكار أهل المدينة

#### الصفة المعلومة لغسل الميت :

سبحان الله العظيم . كيف لم يعرف أهل المدينة غسل الميت حتى قالوا فيه هذا القول ، والآثار فيه كثيرة مبينة . وغسل الميت واضح في أيدي الفقهاء . قال ذلك عبد الله بن سعood وإبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين وغيرهم من الفقهاء . والأمر فيه أشهر من أن يذكر جملة كما ذكر أهل المدينة (٣) .

#### قول أهل المدينة بما هو أعظم وزراً :

قال أبو حنيفة في المحرم يدل الحلال على الصيد فيقتله قال : على الدال الجزاء .

وقال أهل المدينة : إذا دل المحرم الحلال على الصيد لا كفارة على الدال . ولا ينبغي له أن يفعل ذلك .

وقال محمد : مما لا ينبغي لأحد من أهل الفتنه أن يشك فيه . قال ابن عباس رضي الله عنهم : على الدال الجزاء .

قال محمد : وأعجب لأهل المدينة . إنهم يقولون في المحرم يدل على الصيد فيقتل أنه لا جزاء عليه . وإن أكل من لحم صيد صاده حلال من أجله وذبحه بغير أمره ولا علمه فعليه الجزاء . أي الرجال يرون أعظم وزراً ؟ الذي يدل على الصيد حتى يقتل . أو الذي يأكل من لحم صيد صاده حلال وذبحه ؟

ما ينبغي أن يشكل على أحد من الفقهاء . مما أعظم وزراً فيما سمع من الآثار الكثيرة التي جاءت فيه .

ثُمَّ ذُكْرُ الْآثَارِ . (٤) .

#### قول أهل المدينة أعجب إلى من قول أبي حنيفة :

قال أبو حنيفة في إمام الحج إذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة أو يوم النحر أو بعض أيام التشريق : إنه لا الجمعة في شيء من تلك الأيام

الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى

#### وكتابه : الحجة على أهل المدينة

[الحلقة الأخيرة]

بقلم الأستاذ محمد أكرم الندوبي

#### تحسين محمد بن الحسن لتفسیر مالک :

قال مالك بن أنس في حديث عمر : أنه كان يصلى الجمعة ثم يرجع بعد الجمعة فيقيل قائلة الضحى . قال : يعني بالقائلة التي مجرروا فيها إلى المسجد بالضحى يقللون فيها حين يرجعون من الصلاة مكان القائلة التي فاتته .

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه أيضاً في تفسير حديث عثمان بن عنان رضي الله عنه : أنه يصلى يوم الجمعة . ثم ينصرف وما للجدر ظل . وقال مالك : قد زاغت الشمس . وإنما معنى قوله . ليس للجدر ظل ممدود .

وقال محمد بن الحسن : قد أحسن التفسير في هذا (١) .

#### تأويل محمد لأكثر من ركوع

#### في كل ركعة من ركعتي الكسوف :

يرى أهل المدينة أن في كل ركعة من صلاة الكسوف ركوعين .

يقول محمد بن الحسن : قد جاءت في قول أبي حنيفة آثار على ما قال : وجاءت في قول أهل المدينة آثار على ما قالوا . وقال :

أما الركعتان في ركعة فهذا أمر لم يكن في شيء من الصلوات لا في صلاة عيد ولا في جمعة ولا في طوع . ولا في فريضة . فكيف كان ذلك في صلاة الكسوف . وما نرى ذلك إلا أن النبي ﷺ أطال القيام . ثم أطال الركوع . فكان الرجل يرفع رأسه فيرى من قدامه ركوعاً فيعود فيرکع فيرى ذلك من خلفه فيرى أن ذلك ركعتان . وإنما هي

إلا بمنى إن كان صاحب الموسم الخليفة أو أمير الحجاز أو أمير مكة ، فإنه إن كانت الجمعة بمنى جمع ، كان يعد منى مصرأ ، وإن كانت الجمعة بعرفة فلا جمعة في ذلك .

وقال أهل المدينة : إذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة أو يوم النحر أو بعض أيام التشريق فلا يجمع في شيء من تلك الأيام .

وقال محمد بن الحسن : قول أهل المدينة في هذا أعجب إلى من قول أبي حنيفة (٥) .

زعم أهل المدينة أنهم أحسن الناس نظراً في البيوع :  
قال أبو حنيفة : من استأجر عبداً بعنه أو تکارى راحلة بعینها إلى أجل ، فقال : أنکارى مثل راحلتك هذا بكذا وكذا درهماً على أن تحملني إلى مكة في شهر كذا وكذا ، بغير الشهر الذي هو فيه . أو قال : استأجر منك هذا العبد يخدمي الشهر الداخل كله بكذا وكذا ، إن هذا جائز لا بأس به .

وقال أهل المدينة : لا يصلح هذا ، وإن كان قد أوفاه الكراء ، لأنه لم يقبض ما استکرى أو استأجر ولا هو سالفه في دين يكون مضموناً حتى يوفيه إياه .

وقال محمد : لا بأس بهذا . رجل أتاه رجل له منزل ، فقال : إن الشهر قد مضى منه الأيام ، فلست أکترى منك هذه الأيام . ولكن أکترى منك منزلك لسنة من أول الشهر الداخل بكذا ، وكذا درهماً ، وأوفاه الكراء ، أي شيء يكره من هذا ؟ ولأي شيء تره ؟ قالوا : لأنه غير مضمون ، قيل لهم : وإن كان غير مضمون فما بأس بذلك ؟ قالوا : لأنه لا يقبض ما أکترى ولم يجب له بعد وإنما يجب له إذا مضى الشهر ، قيل لهم : لقد وضعتم الكرامة في غير موضعها . هل سمعتم في هذا أثراً عن النبي ﷺ أو عن أحد من أصحابه ؟ لو سمعتم ذلك لاحتججتم به ، ما زال المسلمون على أنه لا بأس بالسلف في الكراء إلى مكة قبل الحج بأشهر ، يعلمون ذلك ويستجيزونه في ما بينهم .

الإمام محمد بن الحسن الشيباني

ثم يقول :  
ما أعلم ما تقضون به في بيوعكم عامة إلا ادعاء تدعون به بلا  
بينة ولا برهان ولا أثر .

وقد زعمتم أنكم لستم في شيء من علمكم أحسن نظراً منكم في  
بيوعكم ، وأن الناس يشاركونكم في بعض النظر . فإذا جاءت البيوع  
لم يكن لأحد معكم قول ولا نظر ، فهذه بيوعكم فعامتها ادعاء بلا  
حجة ولا برهان ، فإن كان هذا يجوز للناس فكل من قال قوله بلا  
حجة ، وهو لا يشبه بعده بعضاً فيفرق فيه بين مجتمع ويعجم فيه  
بين مفترق ، فهو فمه ، يجوز قوله ، فإن كان هذا ومثله كذلك ، فما  
يصنع الناس بالقياس وضرب الأمثال في العلم حتى يشبهوا الشيء  
بنظيره (٦) .

### أهل المدينة يبطلون الأشياء بالتهم :

قال أبو حنيفة : من راطل ذهباً بالذهب . فكان بين الذهبين  
فضل مثقال فأعطى صاحبه قيمته من الورق أو العين أو غير ذلك فلا  
بأس ، يكون الذهب بثله والمثقال بالذى أعطاه .

وقال أهل المدينة : لا ينبغي أن يأخذه فإن ذلك قبيح وذرية  
إلى الربا .

قال محمد : وكيف كان ذلك ذريعة إلى الربا ؟ قالوا : لأن هذا  
لو جاز له أن يأخذ المثقال بقيمتها حتى كأنه اشتراه على حدته جاز  
له أن يأخذ المثقال بقيمة مراراً .

قلنا لهم : وما بين أن يأخذ المثقال بقيمة مراراً أو يأخذه  
مرة فرق ؟ هذا كله جائز . إنما نهي رسول الله ﷺ أن يأخذ ذهباً  
بذهب أكثر منها ، وإذا أعطى بالفضل الذي مع أحدهما شيئاً فما  
بأس بذلك . إنما فر القوم من الحرام وأرادوا الدخول في الحلال .  
فإن قلت : فتتهم على هذا .

قلنا : فليس ينبغي أن يبطل الأشياء بالتهم . ولعمري ، إنه

لينبغي لكم أن تبطلوا الأشياء بالتهم لأنكم قد قلتم في القسامه بالتهم . والقتل أشد الأشياء . وكيف يبطل اليقين بوضع التهمه وقد قال الله تعالى : « إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » (٦) .

### إحلال أهل المدينة المكرره الواضح البين :

قال أبو حنيفة في من أسلف دراهم به نقص . فقضى دراهم وازنة بها فضل : إنه لا يصلح فضل الوزن الذي ازداد . لأنه قضى أكثر من حته .

وقال أهل المدينة : لا بأس بذلك . وهو جائز . وقالوا : لا يشبه ذلك الشراء . لو اشتري دراهم وازنة بنقص لم يحل ذلك . قال محمد : يمنعون من البيوع في الأشياء التي ينبغي أن يشدد فيها . ثم لا يبرح لهم الأمور حتى يحلوا المكرر الواضح البين (٨) .

### تحكم أهل المدينة :

قال أبو حنيفة : لا بأس بالخبز قرص بقرصين يدأ بيد . ولا بأس بعظيم بصفير يدأ بيد وإن كان بعض ذلك أكبر من بعض . لأن ذلك قد خرج من الكيل وليس ما أصله الوزن .

وقال أهل المدينة : لا خير في الخبز قرصاً بقرصين ولا عظيم بصفير إذا كان بعض ذلك أكبر من بعض . فاما إذا كان يتحرى أن يكون مثلاً بمثل فلا بأس به وإن لم يوزن .

قال محمد : إن كان الخبر لا يجوز إلا مثلاً بمثل . ما يحل التحرى فيه . لأن التحرى يخطئ ويصيب ويزيد وينقص . ليس بالخبر بأس يدأ بيد بزيادة ولا نقصان لأنه قد خرج من حال الكيل وليس مما يقع عليه الوزن .. فكيف جوزتم الخبر بالتحرى وهو لا يجوز عندكم إلا مثلاً بمثل ؟ ليس ينبغي أن يكون بين هذه الأشياء افتراق إلا بسنة . من قال قوله فلينبغي له أن يحصل نظيره بمثله . ولا يتحكم فيه فإن التحكم لا يقبل (٩) .

### ذهب أهل المدينة إلى ما لا ينبغي أن يشكل خطأ على أحد :

قال أبو حنيفة : لا خير في شراء الحنطة بالدقيق مثلاً بمثل ولا بأكثر من ذلك ولا بأقل .

وقال أهل المدينة : لا بأس ببيع الحنطة بالدقيق مثلاً بمثل .

قال محمد : إن أهل المدينة يبطلون الذي لا بأس به . ويجيزون مثل هذا .

أو ما يعلمون أن الحنطة إذا طحت خرج منها من الدقيق أكثر

ما أعطى . فكيف يجوز هذا وقد صار دقيقاً بدقيق وفضل ؟

أرأيتم رجلاً اشتري سبلاً فيه من الحنطة عشرة أقفرة بخمسة أقفرة . أ يجوز هذا ؟ فإن زعمتم أن هذا يجوز . فإن هذا مما لا ينبغي أن يشكل خطأ على أحد (١٠) .

### جمع مالك اسم النبي ﷺ وكتبه :

قال محمد : أكره إذا سمي الرجل محمدأً أن يكنى بأبي القاسم للآثار المشهورة المعروفة عن رسول الله ﷺ أنه قال : تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي .

وقال مالك بن أنس رحمه الله : لا بأس لمن سمي محمدأً أن يكنى بأبي القاسم . وقد سمي مالك ابنأً له محمدأً وكناه بأبي القاسم (١١) .

### جمع أهل المدينة بين شيء ونقضه :

قال محمد : ما أعجب قول أهل المدينة . يزعمون أنه لا يجوز نكاح الصفار إلا أن ينكح الآباء وينبغي للسلطان أن يفسخ ذلك . وهم يقولون : إن كبر الغلام فلم يجز ذلك كان فرقتهما طلاقاً . وكيف يكون طلاقاً إن ماتا لم يتوارتا ؟ فينبغي لمن قال هذا أن يزعم أن فرقتهما ليست بطلاق . لأنه يفارق غير امرأه . وكيف يقع الطلاق على غير زوجته ؟ وإنما جعل الله الطلاق على الزوجة . فاما أن يقول قائل : إنها ليست له بزوجة وفرقتهما طلاق . وهذا مما لا

ينبغي أن يسقط على أحد يبصر من العلم شيئاً وقد جاء في ذلك آثار  
كثيرة في إجازة نكاح الأولياء للسفر (١٢) .  
كيف خفي هذا على من نظر في الفقه وجالس العلماء :  
قال أبو حنيفة : الحرجة والأمة تكونان تحت الحر أو تحت  
العبد إن القسم بينهما : للحر ليلتان وللأمة يوم وليلة .  
وقال أهل المدينة : القسم بينهما من نفسه سواء .  
قال محمد : كيف خفي هذا على من نظر في الفقه وجالس العلماء ؟  
والآثار في هذا كثيرة معروفة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
وغيره أنه قال : لا تنكح الأمة على الحرجة . وتنكح الحرجة على الأمة .  
ويقسم للحرجة يومان وللأمة يوم ، وهذا مما لا اختلاف فيه عند أهل  
العلم (١٢) .

تفريق أهل المدينة بين مجتمعين :

قال محمد : زعم أهل المدينة أنه لا يحل لرجل مريض ولا  
لأمراة مريضة أن يتزوج واحد منها ، وقالوا : إن تزوج واحد  
منها فرقنا بينهما .

فكيف حرم نكاح المريض وبطل ؟ هل جاء في الكتاب أو في  
السنة أو نكاح الصحيح جائز ونكاح المريض فاسد ؟ إنما أحل الله  
النکاح جلة فهو حلال إلى يوم القيمة للمريض والصحيح . فهل  
سمعتم في هذا أثراً عن النبي ﷺ أو عن أحد من أصحابه ؟ فلو كان  
هذا لاحتججتم به ولسمعناه من حديثكم . ولكن الآثار في ذلك  
عندنا مشهورة معروفة ، وإن هذا من الأمور التي لا تحتاج فيها إلى  
الآثار . ولكنها لندع أن نتحرج بها عليكم (١٤) .

يلزم من قول أهل المدينة أن تكون الإمام عالماً بالفقه :

قال أبو حنيفة في الأمة تكون تحت الحر . فتعلم بالعتق .  
فيمسها ، فتدعي أنها جهلت أن لها خيار : إن لها خيار العتق .  
وقال أهل المدينة : تتهمن على ذلك . ولا تصدق لما ادعت من

الجهالة ، ولا يكون لها الخيار بعد الميس .

قال محمد : وكيف تتهمن على هذا وهي لا تعلم به ؟ ينبع في  
قولكم أن يكون الإمام المعتقدات عالماً بالفقه كعلم الفقهاء . وما  
تدرى الأمة أن لها الخيار إذا أعتقدت . لو اعترض أهل المجلس ذو  
الأحساب وغيرهم من ذوي الأموال من لم ينظروا في الفقه ما دروا  
أن الأمة لها خيار إذا أعتقدت أم لا خيار لها . فكيف تعلم ذلك الإمام  
والنساء في بيوتها ؟ وكل أمر كان في هذا فالآمة عندنا لا تعلمه في  
الحكم حتى تعلم أنها قد علمته . وإذا علمت ذلك ثم يمسها بعد فلا  
ختار لها (١٥) .

نهاية الكتاب :

قال أبو حنيفة رضي الله عنه : لا قصاص على أحد كسر يداً أو  
رجلًا لأنه عظم . ولا قود في عظم إلا السن .

قال أهل المدينة : من كسر يداً أو رجلًا أقيمت منه . ولا يعقل .  
ولكنه لا يقاد حتى يبرأ جرح صاحبه .  
وقال محمد بن الحسن : الآثار في أنه لا قود في عظم أكثر من ذلك .  
وقال : وقد قال مالك بن أنس رضي الله عنه ذات يوم : كنا لا نقتض  
من الأصابع حتى اقتض منها عبد العزيز بن مطلب قاض عليهم  
فاقتضنا منها .

فليس يعدل قول أهل المدينة في الأشياء بما عمل به عامل في  
بلادهم (١٦) .

(٢) كتاب الحجة : ٤١٨/١ . ٢٢٠-

(٤) كتاب الحجة : ١٢٥/٢ . ١٢٨-

(٦) كتاب الحجة : ٥٦٦/٢ . ٥٧٠-

(٨) كتاب الحجة : ٦١١/٢ . ٦١٢-

(٩) كتاب الحجة : ٦٢٤/٢ . ٦٢٦-

(١٢) كتاب الحجة : ١٤٠/٢ . ١٤٩-

(١٤) كتاب الحجة : ٤٩٥/٢ . ٥٠٤-

(١٦) كتاب الحجة : ٤١٢/٤ . ٤١٧-

(١) كتاب الحجة : ٢٨٦/١ . ٢٨٧-

(٣) كتاب الحجة : ٤٢٩/٢ . ٤٢١-

(٥) كتاب الحجة : ٥٨٤/٢ . ٥٨٥-

(٧) كتاب الحجة : ٦١٩/٢ . ٦٢٠-

(٩) كتاب الحجة : ٦١٩/٢ . ٦٢٠-

(١١) كتاب الحجة : ٦١٩/٢ . ٦٢٠-

(١٢) كتاب الحجة : ٢٥٤/٢ . ٢٦٢-

(١٥) كتاب الحجة : ٢٨٣/٤ . ٢٨-

## الإمام ابن دقيق العيد، حياته وأثاره

(الحلقة الخامسة الأخيرة)  
دكتور جلال الدين أحمد النوري

### نسخ الاقتراب:

١- نسخة وهي في مكتبة المتحف البريطاني برقم: ٨٧٦ .  
وكتب عنوانها خطأ : « كتاب النبذ في علوم الحديث » ، للشيخ  
الإمام العلامة منفي المسلمين آخر المجتهدين تقي الدين محمد بن دقيق  
العيد - رضي الله عنه - .

وبسبب ذلك فيما أظن عنوان الكتاب الأصلي « الاقتراب » قد سقط ،  
فأثبت الناسخ هذا العنوان اجتهاداً من مقدمة الكتاب « هذه نبذة من  
فنون مهمة في علوم الحديث .. » .

٢- مذكورة بروكلمان في تاريخ الأدب العربي - الأصل ج ٢ / ص ٧٥ .  
باسم نبذة في علوم الحديث ، لكنه لم يبين أنه هو « الاقتراب ».  
وكتب فوق عنوان الكتاب كتاب في « اصطلاحات الحديث » وفوق  
العنوان أيضاً .

أما في آخر النسخة فقد كتب ما يأتي :  
« آخره والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمأب .

وافق الفراغ من تعليقه على يد أضعف عباد الله ، وأحوجه إلى  
غفرانه . محمد بن أحمد بن علي الشافعي - عفا الله عنه - وغفر له .  
وذلك يوم السبت أول يوم من جمادي الآخر سنة ست عشرة وسبعين  
بالمدرسة البارائية (١) بدمشق حاما الله وسائر بلاد الإسلام وأهلها .

(١) المدرسة البارائية تقع داخل باب الفراديس والسلامة ، شمالي جيرون .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه .  
من كتب فقير رحمة ربـه المنان عثمان محمد بن عثمان .  
ثم كتب حديثاً : قال رسول الله ﷺ : ثلاثة يظلمـهم الله تحت  
ظلـه .. إلـخ .

وإلى جانب هذه الصفحة الأخيرة من الكتاب كتب : هذه الأحاديث  
مائتين وثمانين حديثاً (كذا) وصوابـه :  
مائتان وثمانون حديثاً إلاـ حديثاً واحدـاً ، لأنـ القسم السادس نقص  
منـه الحديث الأربعـون .

٢- نسخة وهي في مكتبة برلين - بألمانيا الغربية : برقم ١٠٣ .  
وعنوانها : كتاب « الاقتراب في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى  
ذلك من الأحاديث المعدودة من الصحاح » .

تأليف الشيخ الإمام ، العـلـامة الحـافظ ، المـحقـق المـدقـق ، قـاضـي القـضاـة ،  
خطـيبـ المـسلـمـين . شـيخـ شـيوـخـ الطـرـيقـة ، كـاـشـفـ أـسـرـارـ الـحـقـيـقـة ، تـقـيـ  
الـدـيـنـ أـبـيـ الفـتـحـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ وـهـ بـنـ مـطـيـعـ الـقـشـيـريـ ، الـمـعـرـوفـ  
بـاـبـنـ دـقـيقـ الـعـيـدـ . رـحـمـةـ اللـهـ تـعـالـىـ وـلـسـائـرـ الـمـسـلـمـينـ أـجـمـعـيـنـ .

وذكرـها بـرـوـكـلـمـانـ فيـ كـتـابـهـ : تـارـيـخـ الـأـدـبـ الـعـرـبـيـ - الأـصـلـ جـ ٢ـ /ـ صـ ٢ـ ٥ـ ،ـ وـ مـيـ فيـ مـائـةـ وـسـبـعـ عـشـرـ صـفـحةـ .ـ فـيـ كـلـ صـفـحةـ سـبـعـ عـشـرـ  
سـطـرـاـ .ـ وـمـعـدـلـ كـلـمـاتـ السـطـرـ عـشـرـ كـلـمـاتـ .ـ خـطـهاـ نـسـخـيـ وـاضـحـ .ـ  
وـمـشـكـولـ غالـباـ .ـ مـتـعـدـدـ غـيرـ صـحـيـحةـ وـكـتـبـ فيـ الصـفـحةـ الـأـخـيـرـةـ منـ  
الـكـتـابـ :

« تمـ الـكـتـابـ بـحـمـدـ اللـهـ وـعـونـهـ وـحـسـنـ تـوـفـيقـهـ ،ـ فـيـ الشـهـرـ الـأـوـسـطـ منـ

وـشـرقـيـ النـاسـرـيـ الـجـوـانـيـ .ـ وـفـيـ المـخـتـرـ :ـ اـنـهـ عـلـىـ بـابـ الجـامـعـ الـأـمـوـيـ الـشـرـقـيـ  
الـمـوـدـيـ إـلـىـ الـعـلـارـةـ .ـ أـنـشـأـهـ إـلـاـمـ الـعـلـامـ نـجـمـ الـدـيـنـ أـبـوـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ الـوـفـاءـ  
مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ الشـافـعـيـ الـبـاذـرـائـيـ (ـمـنـ أـعـمـالـ وـاسـطـ الـمـرـاقـ)ـ الـبـغـدـادـيـ الـتـوـفـيـ سـنـةـ  
٦٥٥ـ هـ .ـ كـانـ فـقـيـهـ دـيـنـاـ درـسـ بـالـنـظـامـةـ .ـ أـنـظرـ خـطـطـ الشـامـ لـحـمـدـ كـرـدـ عـلـيـ :ـ جـ ٦ـ /ـ صـ ٧ـ ٦ـ .ـ

العدد ١ - المجلد ٣٧ - ربیع الثانی ١٤١٣ھ

البعث الإسلامي شهر جمادی الآخرة سنة ست عشر (وربما تكون : ست عشرين)

في منزلة أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وكل منها كان مقدماً على  
أقرانه مشهوداً له بالإبداع الشعري في زمانه ، ثم نقل الأدفوی عن ابن  
سید الناس فتح الدين محمد اليعمری أنه قال في ترجمته لابن دقيق  
العید مانصه : (١) « وله مع ذلك في الأدب باع وساع وکرم طباع لم  
يخل في بعضها من حسن انطباع . ثم قال : حکى له صاحبنا فتح الدين  
محمد بن کمال أحمد بن عيسى القليوبی قال : دخلت عليه مرة وفي  
يده ورقة ينظر فيها زماناً ثم ناولني الورقة وقال : اكتب من هذه  
نسخة فأخذتها فوجدت فيها بليقة أولها :

كيف أقدر أتوب ورأس إيري مشقوب

وقال لي شيخنا تاج الدين محمد بن أحمد الدشناوی سمعته ينشد  
هذه البليقة :

جلد للعميرة بالزجاج ولا الزواج

ويقول بالزجاج يا فقيه » والطريف في هذا النص الذي نقله عن  
الأدفوی وقد ذكر مضونه كثير من ترجموا لابن دقيق العید . الطريف  
في ذلك هو أنه يدل دلالة واضحة على أن ابن دقيق العید التقى الورع  
العالم المبعوث على رأس السبعينية ليجدد للأمة أمر دينها كان ظريفاً  
خفيف الروح ينشد الأشعار الشعبية التي يتحدث عن الأمور الجنسية  
وأنه كان يستحسن ذلك ويحب ساعه وإنشاده . يدل على ذلك ما  
رواه الأدفوی إذ قال : (٢) « وحکى لي صاحبنا الفاضل الأديب الشقة  
مجد الدين عمر بن المطئ . قال كنت مرة بمصر في حاجة وطلمت إلى  
القاهرة فقالوا : الشيخ طلبك مرات فجئت إليه فقال أين كنت ؟ قلت  
بمصر في حاجة فقال طلبتك سمعت إنساناً ينشد خارج الكاملية :

بكى قالوا عاشق سكت قالوا قد سلا  
سليت قالوا ذاكر ما أكثر فضول الناس

ابن دقيق العید وأدبه وشعره :

بينت في الفصل السابق شخصية ابن دقيق العید العلمية وكيف انه  
برز في الفنون العقلية والنقلية وتفوق في العلوم الدينية والشرعية وفي  
هذا الفصل أقول : إن ابن دقيق العید ذو شخصية متميزة مستقلة لا في  
العلم والدين فقط . ولكن في الشعر والأدب أيضاً وشهد له بذلك  
معاصروه ومن ترجموا له من أهل العدالة والإنصاف .

قال الأدفوی : يصفه بالبلاغة والإجاده والإبداع والتفوق في  
الخطابة و الكتابة قال : « إذ خطب أسهب في البلاغة وأطنب في  
البراعة . أو كتب فوحى الكلام يتنزل على يراعه (١) » .

ثم وصفه في موضع آخر بالتفوق في نظم الشعر إذ يقول مانصه :  
« فإن اقتصرت قلت : نابفة زمانة . وإن اختصرت قلت : حبيب (٢) » .

وما يعني أن الأدفوی قد عد ابن دقيق العید في طبقة الشعراء  
المفلقين في الجاملية وبعد الإسلام فهو في مرتبة النابفة الذيباني أو

(٢-١) انظر : الطالع السعيد : ص ٢١٩ .

(٢-٢) انظر : الطالع السعيد : ص ٢١٧ .

وروايته وبصحة أحكامه على ما يرويه من الأشعار بلية الكلام .  
وبعد أن جمعت شعره أو على الأصح جمعت كل ما استطعت العثور  
عليه من أشعاره أقول إنه :

زاول أولًا : الغزل أو النسيب ، ثانياً : مدح الرسول ﷺ ، ثالثاً :  
الحنين إلى الأماكن المقدسة ، رابعاً : المديح التقليدي وهو الذي يقال  
في وصف العظام من الأمراء والوزراء ومن إليهم . خامساً : الزمد  
والحكمة أو الوعظ والإرشاد ، على قصائد ثلاثة . إحداها وهي  
أشهرها :

يا سايراً نحو الحجاز مشرأ

اجهد فديتك في المسير وفي السرا  
ولم يذكر أحد ملابسات هذه القصيدة والظروف التي قالها فيها ولا  
نعرف أيضاً متى وأين أنساناً ؟ ولكن مطلع القصيدة نفسه يوحى  
بالسفر والترحال . ومعناها العام يجعلنا نزعم أنه قالها وهو متوجه  
إلى الحجاز في طريقه إلى أداء فريضة الحج وزيارة النبي ﷺ إذ يقول  
فيها :

فالقصد حيث النور يشرق ساطعاً

والطرق حيث ترى الشري متطرراً  
قف بالمنامل والمنازل من لدن

وادي قباء إلى حمى أم القرى  
وهي في جملتها تفيض بالأحساس والشعور وتسود الناظها  
السهولة والعذوبة مع الرصانة والمانعة وجودة السبك وصدق التعبير .  
والثانية مطلعها :

شرف المصطفى رفيع عماره ليس يحصى لكثرة تعداده  
ومهذه القصيدة تبدو فيها الصنعة ويترائي في أكثر عباراتها  
التكلف بشكل ظاهر كما أنك لا تحس وانت تقرؤها بحرارة العاطفة  
والشعور . الأمر الذي يحملنا على القول بأنه كان يقصد إظهار مقدرته

قال فاعجبني وليس في ذلك غرابة لأن ابن دقيق العيد كان مصرياً  
ومصريون بحكم طبيعة بلادهم ومناخها مرحون بهم دعابة وظرف لا  
يغشون الترمذ . ولا يميلون بطبعهم إلى السكينة الملة والوقار  
الثقيل .

هذا وقد وصفه الأستوي (١) بأنه أديب نظماً ونثراً وأنه ذو بلاغة  
تامة إذ قال مانسه ، « صاحب النظم الرائق والنشر الفائق المجمع على  
كماله في العلم والدين والزهد والورع مع البلاغة التامة » . ثم استشهد  
على قوله هذا بذكر شهادة الشهاب محمود الكاتب بتتفوق ابن دقيق  
العيد في الميدان الأدبي فقال : « قال الشهاب محمود الكاتب مارأيت  
أعرف منه بصناعة الأدب » و قال الأستوي أيضاً مانسه : «  
للشيخ رحمه الله خطباً بليفة مشهورة أنشأها لما كان خطيباً بقوص .  
وله أيضاً شعر بلية رقيق » هذا وقد وصفه الصندي (٢) بأنه كان نحوياً  
أدبياً ناظماً نافراً عجيباً لا يباريه في كل فترته مبار ولا يجاريه في  
مضمارها مجار ولا تعلق له الريح إذ أم غاية بفبار . وكان ناقداً جهيداً  
يقترب في النقد الأدبي عند الصندي من منزلة كبار الأدباء الناقدين  
فقد قال الصندي في كتابه أعيان العصر مانسه : « أخبرنا شيخنا  
العلامة أبر الشناء قال لي يوماً الشيخ تقى الدين قول أبي الطيب » .

لو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعبي عيسى  
في هذا شيء غير إساءة الأدب ففكرت ساعة ثم قلت : « فعم كون  
الموت ما يتناوت أن كان بالسيف أو بغيره فالإحياء من الموت سبيل  
واحدة فقال لي أحسنت يا فقيه » وقد عقب على هذا النص الدال على  
توفر ملكة النقد الأدبي لدى ابن دقيق العيد الصندي فقال : « و هذه  
المؤاخذة لا تصدر إلا من أديب كبير كالجاحظ أو غيره » وتلك شهادة  
الصندي لابن دقيق العيد وهو أعني الصندي من عرف بالتقدم في الأدب

(١) انظر : الأستوي / طبقات الشافعية من ورقة ١١٤ إلى ١١٦ .

(٢) انظر : الصندي - أعيان العصر وأعوان النصر : ج ٦ / ص ٨١ .

تعین قدیمة شروعاً وما يكون محمولاً على الرأس لا يحسن أن يحمل  
موضوعاً .. إلخ».

ومهذه الخطبة كما ترى تمس من المخاطبين العاطفة الدينية وتحرك  
في نفوسهم . حب العلم والجد في طلبها . وعباراتها كما ترى سهلة  
واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض ولا وحشية فيها ولا إبهام والسجع فيها  
جار على الطبع لا تكلف فيه ولا تصنع . وبالجملة فهي فصيحة بلية  
تؤثر على القارئين أو السامعين بالغ التأثير .

وأخيراً وفي ختام هذا الفصل أقول كما قلت في أوله : إن ابن  
دقيق العيد كان ممتازاً متفوقاً في أدبه نظماً ونثراً وخطابة يكاد لا  
يقاريه فيه أحد فهو وإن تشبهه أو ماثله أحد في الشعر على حدة . أو  
في النثر على حدة أيضاً فإننا لم نجد أحداً يشبهه أو يدانيه في الجمع  
بين هذه الفنون الثلاثة مع الإجاده والإتقان في إبداع رائع وبلاعة  
تكاد تكون منقطعة النظير .

وبالجملة فهو قد بز أقرانه وفاق معاصريه في فنون الأدب كما  
بزهم وتتفوق عليهم في ميدان العلم والاجتهاد .

على نظم الشعر في التوافي الصعبة .  
وهذا أوضح دليل وأقوى برهان على عظم توفر الشاعرية لدى  
ابن دقيق العيد وتنوّقه في نظم القرىض . وعلى ضوء ما تقدم وبعد تتبع  
أشعاره نستطيع القول بأن ابن دقيق العيد لم يكن ينتمي في أسلوبه  
ومطريقة شعره إلى إحدى المدرستين اللتين كانتا سائحتين في أوائل  
العصر الأيوبى وما مدرسة الكتاب التي كان يمثلها أو يتزعمها القاضي  
الفضل ، ومدرسة الرقة والسهولة وهي التي تزعمها إليها زهير ، وإنما  
هو أعني ابن دقيق العيد مزاج بين المدرستين إذ ظهرت الرقة  
والسهولة في شعره إلى جانب وجود الصنعة والمحسنات البديعية التي  
كانت الطابع العالم لمدرسة الكتاب .  
وأما خطابته فقد شهد له الجميع بالبراعة والإبداع ومدحه  
بالفصاحة والبلاغة وفرط الإجاده فيها أبو الحسن الجزار إذ قال فيه  
بعد أن سمعه يخطب بقوص مادحاً :

يا سيد العلماء والأدباء والـ  
كتـ المـعـانـي رـونـقـ الـأـلـفـاظـ  
شـنـفتـ أـسـمـاعـ الـأـنـامـ بـخـطـبـةـ  
فـرـكـتـ عـيـونـ السـامـعـينـ فـصـولـهـاـ  
أـبـكـتـ عـيـونـ السـامـعـينـ فـصـولـهـاـ  
وـعـجـبـتـ مـنـهـاـ كـيفـ حـازـتـ رـقـةـ  
سـتـقـولـ مـصـرـ إـذـ رـأـتـكـ لـفـيرـ مـاـ  
وـيـقـولـ قـرـمـ إـذـ رـأـتـكـ خـطـبـيـمـ

على أن خطبه لم يصلنا منها شيء أللهم إلا تلك الخطب التي كان  
يكتبها بين يدي كتبه كمقدمة شرح « الإمام » و إليك طرفاً منها  
قال (١) : « أما بعد حمد الله فإن الفقه في الدين منزلة لا يخفى شرفها  
ولا تحتجب عن العقول طوالها وأضواماً وأرفعها بعد فهم كتاب الله  
المنزل الباحث عن معانى حديث نبيه المرسل إذ بذلك تثبت القواعد ،  
ويستقر الأساس وعنه يقوم الإجماع ويصدر القياس وما تعين شرعاً

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى : ج ٦ / ص ١٢٧ .

## بحث في التقليد والتلبيق

بقلم: فضيلة الأستاذ خالد سيف الله رحmani  
تعریف: محمد رحمة الله الندوی المظفرفوري

وأجمع تعريف وأصوبه عبر عنه العلامة ابن الهمام بقوله: «التقليد العمل بقول من ليس قوله إحدى الحجج بلا حجة».

وقد تبين من ذلك أن العمل بأقوال الرسول ﷺ أو بالإجماع لا يسمى بالتقليد، لأنهما حجتان شرعاً عيتان بالذات، وكذلك لجوء الجماهير إلى المفتين والرجوع إليهم وعبرة القضاة بشهادة الشهداء كل ذلك لا يتضمنه معنى التقليد، وذلك لأن إجراء الحكم وتنفيذ القضاء من أجل الشهادة ومراجعة العامة من الناس، أصحاب الفتيا أمر مسلم ثابت بالإجماع.

ومنها يمكن أن تثار شبهة، أن اتباع العلماء - الذين يلمون بالأحكام الشرعية وبرأمينها - لأئي مجتهد، كيف يطلق عليه اسم التقليد، مع أنه يقف على ما يستند إليه المجتهدون ويحتاجون به، وقد رد على هذه الشبهة العلامة أمير بادشاه الخراساني بقوله: «فالجواب أن معرفة الفير أو فعله قلادة في عنقه (٢)».

فيتضاع من جميع هذه التعريفات التي أسلفناها أن الرجل الذي لا يقدر على الاجتهاد بنفسه أو أنه لم يجتهد رغم قدرته عليه وقد مجتهد آخر وهو يحسنظن أن ذلك المجتهد قد وصل إلى النتيجة الصحيحة من أجل عليه وورعه، وهو مصيبة في رأيه، هذا ما يسمى بالتقليد.

حكم التقليد: والقائلون بالتقليد مم كذلك يسلّمون أن التقليد لا يفيد علماً قطعياً بل يحصل منه الظن الغالب أو الظن فحسب، والذي يقلد إماماً في قضية فإنه يعتقد أن رأيه سديد بالظن الغالب مع تسليمه احتمال أن الرأي الذي ظن بصحته يكون خطأ وعكسه صحيحاً.

وقد كتب العلامة ابن الهمام حول موضوع التقليد في الأحكام

(١) تيسير التحرير: المجلد الرابع ص/٢٤٢، طبع دار الفكر.

(٢) الإحکام في أصول الأحكام للأمدي: ٤/٢٢٢.

(٣) دستور العلامة: ١/٤٤١، التعريفات للجرجاني: ص/٩٠.

ال التقليد في اللغة «قلده أي الزمه إياه» (١) لذلك فإنه يطلق على علامة الذبح التي تجعل في عنق الهدى، يقول الفرزدق:

حلفت برب كعبة والمصلى

وأما التقليد في مصطلح الفقه يعني أن يجعل المرء وأعناق المهدى مقلدات (٢) في عنقه قلادة رأي فقيه موثوق به من يستنبط رأيه من النصوص الشرعية، يقول العلامة الجرجاني: «كان هذا المطبع جعل قول الفير أو فعله قلادة في عنقه (٢)».

وقد عرفه الفقهاء بتعابيرات شتى، فيقول القفال: «قبول قول القائل وأنت لا تعلم من أين قاله (٤)» وقد عبر عنه الشيخ أبو حامد والأستاذ أبو منصور بقولها: «قبول القول من غير حجة تظهر على قوله (٥)» وبعض من منكري التقليد يعرفونه «مو قبول رأي من لا تقوم به الحجة بلا حجة (٦)» يقول العلامة الأمدي: «العمل بقول الفير من غير حجة ملزمة (٧)».

وقد عرفه السيد شريف الجرجاني والقاضي عبد النبي أحمد نغري وما يصرحان عما يعتقد المقلد: «اتباع الإنسان غيره فيما يقول بقول أو فعل معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل (٨)».

(١) لسان العرب ٤/٢٦١، ابن سطور الافريقي.

(٢) نفس المصدر، طبع بالطبعة الأميرية، بولاق، مصر.

(٣) التعريفات للجرجاني، ص/٩٠. (٤) إرشاد الفحول: ص/٢٦٥.

(٥) أصول الفقه الإسلامي: ٢/١١٢، وكذلك بين العلامة الخضرى «التقليد هو قبول قول بلا حجة» أصول الفقه: ص/٢٨٠، إرشاد الفحول: ص/٢٦٥، حصول المأمول: ص/١٠٧.

(٦) الإحکام في أصول الأحكام للأمدي: ٤/٢٢٢.

(٧) دستور العلامة: ١/٤٤١، التعريفات للجرجاني: ص/٩٠.

بقوله : « مصححنا إيمان المقلد وإن أثمناه (١) ». وفقاً لما رواه العلامة أمير بادشاهه هو ما ذهب إليه الأئمة الأربعه والأوزاعي وسفيان الثوري . والإمام الرazi . والأمدي . وابن الحاجب كلهم متذمرون على البحث عن العقائد نفسها . والنظر والتحقيق فيها (٢). الواقع أن إلزام مثل هذا التدبر والبحث والتحقيق على العلامة صحيح لكن تكليف الجماهير وعامة الناس به يصبح من قبيل التكليف لما لا يطاق .

يقول العلامة أبو إسحاق : « وأن الاستدلال والنظر ليس هو المقصود في نفسه ، وإنما هو طريق إلى حصول العلم حتى يصير بحيث لا يتردد ، فمن حصل له هذا الاعتقاد الذي لا شك فيه من غير دلالة قاطعة فقد صار مؤمناً ، وزال عنه كلفة طلب الأدلة .. لاسيما العوام فإن كثيراً منهم تجده في صيانة اعتقاده أكثر من يشاد بذلك (٣) ».

وقد أنكر القشيري والشيخ أبو أحمد الجوني وغيرهما من المحققيين صحة هذه الرواية المتقدمة عن أبي الحسن الأشعري (٤) . وخاصة إيجاب التأمل في موضوع الإيمان والوصول إلى الحق عن الطريقة التي يستدل بها المتكلمون لا يطابق القياس ولا يستسيغ العقل قطعاً .

وقد أجاد البحث في هذا الموضوع العلامة ابن السمعاني : « إننا ننكر إيجاب التوصل إلى العقائد في الأصول بالطريق الذي اقتدوه وساموا به الخلق . وزعموا أن من لم يعرف ذلك لم يعرف الله تعالى . ثم أدّاهم ذلك إلى تكفير العوام أجمع وهذا هو الخطأ الشنواه والداء العossal . وإذا كان السواد الأعظم هو العوام وبهم قوام الدين . وعليهم مدار رحبي الإسلام ، ولعله لا يوجد في البلدة الواحدة التي تجمع المائة ألف من يقوم بالشرائط التي يعتبرونها إلا العدد الشاذ الشارد

المقدمة فقال : « ولا يحصل العلم به (بالتقليد) (١) ». وقال العلامة الخضري : « وليس من طرق العلم لا في الأصول ولا الفروع (٢) ». التقليد في الأحكام الفروعية : ومن ثم ينشأ سؤال وهو أن نطاق التقليد محدد في الأحكام الجزئية المتفرعة العملية أم يتسع نطاقه إلى الأحكام المقدمة والأصولية . وقد اختلفت فيه آراء العلماء . يقول العلامة عبد النبي : « وذهب كثير من العلماء وجميع الفقهاء إلى صحة إيمان المقلد وترتب الأحكام عليه في الدنيا والآخرة ومنه الشيخ أبو الحسن والمعتزلة وكثير من المتكلمين (٣) ». « لا يستحق اسم المؤمن إلا بعد عرفان الأدلة ، وهو مذهب الأشعري (٤) ».

وقد أباحه بعض العلماء في الأحكام الأصولية الاعتقادية كذلك . يقول الأمدي : « فذهب عبيد الله بن الحسن العنبري والحسوية والتعلمية إلى جوازه ، وربما قال بعضهم انه الواجب على المكلف (٥) ». حررت طائفة من أهل الحديث التأمل والنظر في القضايا العقدية البينة . وأوجبوا التقليد في هذا القسم . والعجب من الزركشي أنه نسبه إلى الأئمة الأربعه (٦) .

والرأي الوسط المترزن في هذا هو ما نقله العلامة ابن الهمام : أن الذين يؤمنون ويعتقدون بالتقليد وما حاولوا لأي تفكير وتأمل فيه فإنهم مؤمنون غير أنهم يأتون من أجل اهتمالهم في مجال البحث عن الحق المستقيم والتمكن من حصوله . ونص العلامة المذكور على ذلك

(١) تيسير التحرير : ٤/٢٤٢-٢٤١ . طبع دار الفكر .

(٢) أصول الفقه : ص / ٢٨٠ .

(٣) دستور العلامة : المجلد الأول ، ص / ٢٤١ . طبع .

(٤) تيسير التحرير : ٤/٢٤٢ .

(٥) الإحکام في أصول الأحكام : ٤/٢٠٠ . دار البارز للنشر والتوزيع . مكة المكرمة .

(٦) ونسبه الزركشي إلى الأئمة الأربعه ولم يحفظ عنهم . تيسير التحرير : ٤/٢٤٢ . طبع دار الفكر .

(١) تيسير التحرير : ٤/٢٤٢ .

(٢) تيسير التحرير : ص / ٢٤٢ .

(٣-٤) إرشاد النحول : ص / ٢٤٨ . طبع المكتبة الأثرية سيخونوره باكستان .

فحواه الأصيل . كما في الحديث « تحريرها التكبير » فإن طريق ثبوته ليست بقطعية ، لأنه من خبر الواحد . وفي جانب آخر يمكن أن يراد بالتكبير « الله أكبر » أو عظمة الله وكبر ياؤه على الإطلاق . سواء يستعمل لذلك كلمة « الله أكبر » أو كلمة أخرى . ومثل هذه الأحكام ظني الدلالة والثبوت في وقت واحد .

٥- إذا كان الدليلان يقطع ثبوتهما أو لا وما صريحان في مفهومهما لكنهما يتعارضان فيما بينهما . مثاله في قوله تعالى : « انكحوا الأيامى منكم » إن هذه الآية تنص على أن النساء ليس لهن أن ينكحن بأنفسهن ، وأمر لأوليائهن أن ينكحوا الأيامى .

وفي آية أخرى : « ولا تعذلوهن أن ينكحن أزواجهن » فانتفاء النكاح إلى النساء في الآية تشعر باستحقاقها إياه . وفي مثل هذا النوع من القضايا تصير الأحكام ظنية من حيث ثبوتها لأجل التعارض الظاهري ولا تبقى قطعية .

ويبدو بعد التأمل أن الصورة الأولى من مؤلاء الخمس لا خلاف فيها من الفقهاء . ولا هي تحتاج إلى أي اجتهاد ولا تقليد . لكن الصور الأربع الباقية - ومعظم الأحكام العملية والفروع والجزئيات من هذا النوع - لا بد فيها من الاجتهاد واللجوء إلى الاستخراج والاستنباط .

#### والمجتهد يكلف فيها بثلاثة أمور :

الأول : أن الوسائل التي وصلت إلينا بهذه الأحكام عن طريقها ملء قطعية أم تحتمل الخطأ . وذخيرة كتب الحديث العافلة وفن أسماء الرجال لم يأت في حيز الوجود إلا لهذا الغرض .

الثاني : أن المفهوم الذي تلقيناه عن طريق تلك البرامين إلى أي حد يصح من حيث اللغة العربية وقواعدها و أصول الاستخراج والاستنباط ؟ .

فكا أنه لا بد للمجتهد من الاطلاع على اللغة العربية والوقوف على قواعد العربية كذلك عليه أن يطلع على أصول الفقه الإسلامي اطلاعاً كاملاً .

النادر . ولعله لا يبلغ عدد العشرة (١) .  
لكن أي إيمان تقليدي اعتبره الشرع ، وما هو التقليد الذي لا مجال له في الإيمان وقد تناول هذا البحث الأستاذ عبد النبي أحمد نغري فيقول : « ثم أعلم أن التقليد على ضر بين صحيح وفاسد . فالصحيح أن يقول لا إله إلا الله أوأشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله . فيقال له : ما قلت : فقال : إني وجدت المؤمنين يقولون هذه الكلمة فيكونون مسلمين عند الله تعالى . فقلتها أيضاً لا كون سلماً فهو مؤمن ، والفاسد هو أن يقول ذلك فقيل له ما قلت فقال : قلت : ما قالوا : ولا أدرى ما هي فهو ليس بمؤمن لأنه لا يعرف الله تعالى فكيف يصدقه (٢) ». .

التقليد ضرورة : والأحكام الفقهية تنقسم إلى أربعة أقسام من حيث براعتها وحجتها :

١- ما هو قطعي الثبوت ، وألفاظه كذلك دالة على فحواها الأصلي دون أي إبهام . كما جاء في قوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم » إن هذه الآية القرآنية - التي وصلت إلينا عن الطريق القطعي من غير ريب وشك - دالة على مرادها بكل صراحة ووضاحة أنه يحرم النكاح مع الأم . وهذا النوع من الأحكام يطلق عليه قطعي الثبوت والدلالة .

٢- ما يقطع ثبوته لكنه غير قطعي في المعنى المستفاد منه . مثلاً قد عبر القرآن الكريم عن العدة بقوله : « ثلاثة قروء » وكلمة « القرء » تتضمن معنى الحيض والطهر كليهما في لغة العرب . فإنهما قطعية من حيث ثبوتها لكنها ظنية من حيث دلالتها على المعنى .

٣- ما لا يتيقن ثبوته ولا يشك فيه . لكنه أدل على مفهومه للفافية . مثلاً في قول الرسول ﷺ : « لا يمسه طاهر » فإن هذا ظني الثبوت من أجل كونه خبر الواحد . لكنه قطعي الدلالة من أجل اتضاحه في مفهومه .

٤- ما لا يقطع ثبوته . و فيه من الفوض و التعقيد للدلالة على

(١) نفس المصدر : ص ٢٦٧ .

(٢) دستور العلامة : ٢٤١/١ . طبع دائرة المعارف .

دراسات وأبحاث:

# كيف يحيي الله الموتى

الأدلة العلمية المدینة على العار الجسدي

## عالم النبات يشهد بآهيا، الموتى وكذلك علم الأحياء

[الحلقة الأولى]

بقلم : الأستاذ محمد شهاب الدين الندوبي  
رئيس الأكاديمية الفرقانية . بنكلور (الهند)

التوحيد والبعث :

من أهم الأهداف الأساسية ومن التأكيدات التي وردت في القرآن الكريم بالنسبة للتأمل والتفكير في مظاهر الكون واستخراج النتائج منها والاعتبار بالدروس والبصائر الموعدة فيها . هي ترسیخ العقائد الإسلامية وإثباتها . وإن التوحيد والرسالة والمعد تحفل جانباً كبيراً في العقائد الإسلامية . لأنها تعتبر من العقائد الأساسية . وما زال الإنسان يتعرض للشكوك والشبهات عبر العصور حول هذه الثلاثة . وما زال الأنبياء والرسل يبعثون لإثباتها وتدعيم أركانها . وفي العصر الحاضر (عصر العلوم) عادت تلك العقائد لا يراها دعاة العلم والحضارة إلا ضرباً من البرجوازية ورمز التخلف . لأن ذكر الله والحديث عن القيمة إجرام أو نوع من الجنون واحتلال في العقل - والعياذ بالله - حتى إننا نرى بعض الفلاسفة المسلمين ينكرون المعاد الجسيمي ويقولون ببقاء النفس وحدها فيعتقدون أن العذاب والشواب والألم والراحة إنما هي تتعلق بالروح دون الجسد . لما يظنون أن إعادة المدوم مستحيلة لا سبيل إليها فضل الإنسان في جميع عصوره وأدواره يحسب (المعاد الجسيمي) أي إعادة الجسد بكل عناصره وأطرافه مستحيلاً عقلياً . أما الكافرون والملحدون فكانوا ينظرون

الثالث : أن يبحث عن تقدم الدليلين المتعارضين وتأخرهما من حيث التاريخ . فإن لم يتمكن من ذلك عليه أن يطبق بينهما تطبيقاً أو يعيّن لهما موضعاً إلى أن ينتهي التعارض . وإنلا فيرجح أحدهما بالنظر إلى صحة الرقة والحديث ويدع الآخر .

أصول الفقه والحديث ويبدع أمره .  
و مع هذه الثلاثة الأمر الرابع الذي لا بد منه للمجتهد هو أن يكون  
طلعاً على روح الشريعة وطبيعتها . و دراسة القواعد الفقهية والنظر  
إلى ما يدل على امتناع حكمه لا محيض عنه .

لعميق عليها . أمر حسي . ليس  
وصورته أن يجتهد بعض الناس في هذا النوع من المسائل ويبحثوا  
عن حلولها بالاستناد إلى قوتهم الاستدلالية . والآخرون الذين تنقصهم  
هذه المكانة العلمية وهم قاصرون عن الاجتهداد يعتمدون على تحقيقاتهم  
طائف . أنه أدرك الأحكام وفهموها بطريق صحيحة .

والصورة الثانية أن يكلف كل امرء بالاجتهد بنفسه . وكل منصف عادل يشهد و يقول : انه تكليف الإنسان بما لا يطيقه . و لا يكاد يتحمّله . وكذلك يسبب ذلك فتح باب الزباغ والضلال الذي لا يمكن سده أبداً . رغم أن الصورة الأولى فيها تيسير لعامة الجماهير . وتقليل إمكانات الزباغ بل القضاء عليها . وهي التي تسهي بالتقليد . كما أسلفنا من قبل . ولذلك فإن العلماء قد ألزموا التقليد على الذين لا يتأهلون للاجتهد بأنفسهم .

يقول العلامة الأمدي : « العامي ومن ليس له أهلية الاجتهاد . وإن كان محصلًا لبعض العلوم المعتبرة في الاجتهاد . يلزم إتباع قول المجتهدين . والأخذ بفتواهم عند المحتقين من الأصوليين (١) ».

١) الأحكام في أصول الأحكام للأمدي: ٢٣٤ / ٤.

وأدواره يحسب (المعاد الجسدي) أي إعادة الجسد بكل عناصره وأطراقه مستحلاً عتلياً . أما الكافرون والملحدون فكانوا ينظرون

إليها كأنه شيء عجائب ، كما أورد القرآن الكريم بنفسه شبكات  
المشركين في ذلك ، فقد قال الله تبارك وتعالى :

﴿وقالوا أَ إِذَا كُنَّا عَظَاماً وَرَفَاتًا ۝ أَ إِنَّا لِمَعْوِثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝﴾  
(سورة الإسراء ، الآية : ٤٩).

وقال تعالى : « يقولون أ إنا لم ردودون في الحافرة ۝ أ إذا كنا  
عظامًا نخرة ۝ » (سورة النازعات ، الآية : ١٠-١١).

ولما كان تنقية العقائد يحتل الأولوية للعمل بتعاليم الشريعة  
والدين . وكانت عقيدة التوحيد والرسالة والبعث من أهم الأركان  
العقيدية لم يدخل القرآن وسعاً في إثبات تلك العقائد الأساسية . ولم  
يأت بأدلة عقلية فحسب بل بدلائل نظام الكون والطبيعة كذلك . فإن  
الله سبحانه خلق هذا الكون من حيث تدل كل ذرة من ذراته على  
التوحيد والرسالة وقيام الساعة .

والحق أن دراسة هذا الكون والنظر العميق فيه يكشف لنا قوانين  
طبيعة منتظمة ومتراقبة متحدة . فالموجودات المختلفة بنظمها المدهشة  
تشكل ماكينة هائلة . تكون برماناً بينما على وحدانية الخالق سبحانه .  
وفي تلك القوانين إشارة واضحة إلى غاية الحكمة وبلغ النظر وقوه  
الإرادة الخارقة التي تكون دليلاً صريحاً على ربوبية الباري تعالى .  
 فمن أي ناحية يتذكر الإنسان في مظاهر الكون في حالاتها وكيفياتها  
وقوانينها الطبيعية تظهر أمامه في الوملة الأولى وبصورة حتمية  
شواهد بارزة بوجود الخالق ووحدانيته . فإن كل شيء في العالم يشهد  
بلسان حاله بأن الله واحد . كما قيل :

و في كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

ومذه الدلائل والشواهد موافقة تماماً لتصريحات القرآن العزيز  
ونصوص التي تثبت دورها إعجاز الرسالة المحمدية وصدقها . بل  
ومذه المظاهر بما فيها تشهد بالحياة الآخرة والبعث بعد الموت بصورة

مدحشة . وإن التطورات الحيوية للأشجار والنبات بوجه خاص تقدم  
دليلًا على وقوع الواقعه وتتجلى فيها ملامحها عياناً . وعلى ذلك دنيا  
النبات تحمل شهادة قوية بالتوحيد والرسالة والقيامة بكل صراحة  
وضوح . فنتناول هنا ماذا البحث بإيجاز ونقدم بعض الدروس وال عبر  
والبصائر ليهتدى بها النوع البشري ويشاهد صدق كلام الله وحقائقه  
بأعمال النظر والفكر فيه وأنه تنزيل من لدن حكيم خبير لهداية  
البشرية وإرشادها إلى ما فيه خيرها وصلاحها إلى أن يرث الله الأرض  
ومن عليها .

### أدلة الآفاق في القرآن الكريم:

يختار القرآن الكريم أساليب مختلفة في الدعوة إلى التدبر  
والتفكير في مظاهر الكون في مواضع شتى ويبحث الناس على دراسة  
أحوالها وقوانينها الطبيعية إلى جانب التوكيد على كشف نظمها  
المدهشة . فيقول في آية بعد لفت الانتباه إلى بعض المظاهر المهمة من  
الشجر والنبات : « إِن فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (سورة الأنعام ،  
الآية : ٩٩) .

وقال تعالى في آية أخرى ينبه إلى خصائص الأنبياء المختلفة  
وعلوتها والتأمل فيها : « إِن فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » (سورة  
الرعد ، الآية : ٤) .

وأمثالها آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعى النوع البشري إلى  
التأمل والنظر في أشياء الكون وأخذ النتائج الصحيحة منها . والهدف  
منها إثبات التوحيد والآخرة بصورة خاصة . فقد ورد بعد هذه الآية  
السابقة آنفاً من سورة الرعد قوله تعالى : « وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ  
إِذَا كَانُوا رَابِّاً أَ إِنَّا لِفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ » (سورة الرعد ، الآية : ٥) .

معنى ذلك أن إنكار الحياة الثانية والمعاد الجسدي بعد الدراسة  
العلمية لنظام الكون شيء عجيب لا يستند إلى العلم في نظر القرآن

الكريم ، ولذلك نورد هنا بعض الأدلة العلمية والبراهين القاطعة على إثبات الآخرة والإعادة الجسدية .

**فالحقيقة الأولى الأساسية** والقول الفصل في ذلك أن للأنبية وظائف فطرية خاصة . نسميهما بعلم الوظائف أو الفسيولوجيا . مثلا تكون كذلك للحيوانات . فإن هذه النشاطات الفسيولوجية للنبات تبدو عملاً أوتوماتيكياً لها - ظاهراً - إلا أن وجهة النظر المادية لا تستطيع هذا العمل النفسي أوتوماتيكي . فإن الماديين يسمون هذه العمليات المنتظمة بجبلة الحيوان أو بطبيعة النبات بوصفها أزلية ، ولكن السؤال يطرح نفسه أنى لهذه الأنواع المختلفة جبلاتها وطبقاتها المتغيرة وكيف وجدت تلقائياً من غير موجد ؟ فيلجا الماديون في شرحها إلى نظرية التطور والارتقاء ، ولكن هذه النظرية بذاتها غير علمية . بل من الفروض التي يستحيل ثبوتها .

وعلى كل فإن سير الأنبياء والأشجار تحوي في طبائعها قضايا تستسلم عندما المادية وفلسفة التطور والارتقاء بحيث لا تجد الأسباب والعلل سبيلاً . فلا بد للاعتراف بذات مسبب الأسباب ، وهذه هي الموضع التي يطلق عليها في مصطلح القرآن (بالآيات) أو يعبر عنها «بأدلة الآفاق والأنفس» يعني شهادات نظام الطبيعة . وبذلك كان إيداع دلائل القيامة وشوامد الحياة الثانية في النشاطات الفسيولوجية للأنبية وسيرها على طريقة بدعة و صورة مدهشة عجيبة . فلو أجرينا دراسة علمية منتظمة للنبات أمكننا أن نشاهد جلياً كيف يحيي الله الأجسام بعد موتها الأولى . كان الأنبياء والأشجار تقدم لنا أدلة قاطعة يقينية على الإحياء الثاني . ولكن الإنسان لا ينتبه بكل ذلك على هذه الظاهرة الباشمة الموجودة في مظاهر النبات ويعيش مغضوب الطرف عن هذا الجانب المهم . إن الدعاوى التي تقدم بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً واستدل عليها بسير النبات فقد جاءت هذه أماناً بصورة الأدلة العلمية فلق

الطبع . بفضل الرقي والتقدم في مجال العلوم البيولوجية . فنقدم هنا بعض هذه الأدلة في ضوء التصريحات القرآنية عن طريق استعراض بعض المباحث التي تتعلق بعلم النبات خاصة .

### أدلة إحياء الموتى :

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام . الآية : ٩٩ . بعد ذكر بعض خصائص النبات : «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» قال ابن عباس رضي الله عنه : «يصدقون أن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى (١)» .

يعني أن الذي خلق هذا النبات والشجر قادر على أن يحيي الموتى مرة أخرى . والحق إن كلاً من هذه الأنواع والظروف من الأشجار والأنبية التي تبلغ مئات الألوف تبدو بنظمها المعجزة معجزة خلقتها بدعة . تدل على قدرة الله اللامتناهية ، لأن نظامها البديع وتماسكها الغريب لا يمكن تعليلها من ناحية الأسباب والعلل الظاهرة . فكل شجرة أو نبتة تشكل معجزة تأخذ بالأليلات . فتوجد على الأرض مئات الألوف من أنواع النبات . منها ما يتشابه بعضها ببعض في أشكالها . وبعضها يختلف عن بعض . إلا أن فاطرها قد التزم بالحافظة على طبائع كل واحد منها على اختلافها وتبينها . حتى إن عنصراً من عناصرها أو جوهرها من جواهرها لا يخالف مكانه ووظيفته . فكل نبات لا يخرج إلا بخصائصها النوعية المقدرة . ولا يسع له أن يفارق نظمها وقانونها الطبيعي المقدر . ومن ثم فالله القادر المطلق الذي يستطيع أن يراقب كل نبتة وشجرة بكل عناصرها وخصائصها بهذه الدقة والرقابة وإن بلغ عددها الملايين والبلايين . أليس بتقدار على أن يحيي الموتى ويخرجها إلى منصة الشهود بعد إكسابها عناصرها النوعية والأجزاء الشخصية المطلوبة ؟ كيف استحال هذا أن أمكن ذلك (٢)

(١) زاد المسير في علم التفسير . لابن حوزي : ٩٦ / ٢ . المكتب الإسلامي دمشق . ١٤٠٥هـ

صغيرة جداً، لا يمكن إدراكتها إلا عن واسطة المجهر (الميكروسكوب). وكل خلية مشحونة من مادة حية متحركة يطلق عليها العلم الجديد مادة الحياة (البروتوبلازما). كما أن خلية تكون بمثابة وحدة لبروتوبلازما. فأعضاء الحيوان بأجمعها ترتكب من هذه الخلايا. سواء كانت هذه الأعضاء لحمية أو عظمية أو عرقية أو كان الشعر والظفر أو الأسنان والأمعاء، لا يختلف عن هذه الكلية، كذلك النبات. فجميع أجزائه وأعضائه من الجذور والجذوع والفروع والقصبان والأنوار والأزهار والأثار كلها عبارة عن مجموعة من هذه الخلايا. وكل عضو يحتوي على الملابس والبلابس من الخلايا، فكما ترتكب الأبنية بالأجر واللبنات كذلك الأجسام الحيوية ترتكب بالخلايا. وكل خلية تشبه عملاً تجري فيه شتى أعمالها وردودها. فإن العلم قد اكتشف التغيرات الداخلية في الخلية لأول مرة عام ١٩٥٠ بمجهر قوي النفوذ يكبر الشيء مائة ألف مرة (١).

ويوجد في داخل الخلية مواد أخرى، مثل المادة الخضراء (يعني: الكلوروفيل، وهي مختصة بالنباتات) والرائبوسوم والميتوكاندربيا وما إلى ذلك. ويختلف عمل كل منها، ولكن الأشد غرابة هو العمل الذي في مركز الخلية الذي يشتمل على الكروموسوم (مادة الحياة الوراثية) في صورة الأسلام التي يسمى في تكوينها أكثر من عشرين حامضاً أمينياً (Amino Acids) ويقال أنها تحتوي على جميع أنواع الميزات والخصائص الوراثية. وكل خلية تعمل على تشكيل خلايا جديدة كصور طبق الأصل. ونجد بعض المتخصصين في علم الأحياء على هذا التصور: بأن القول إن الكروموسات تقوم بضبط الأجسام تم التوجيه من هذه الوجهة لصعب جداً. من أن يقال بأن الله هو الظاهر (ال حقيقي للأجسام بمثل هذه الدقة والنظام).

ولذلك قيل من أراد أن يشاهد خلقيات الله تعالى فليتذر وجوه اختلاف الأشجار والأنبية ومناحي تشابها، كما صرخ القرآن الكريم: «مشتبهاً وغير مشتبه» (سورة الأنعام، الآية: ٩٩) حتى يمكن تقدير مدى قدرته وربوبيته الشاملة. وقد ذكر الإمام الرazi أن اختلاف طبائع الأنمار وتغيراتها ليست ناتجة عن آثار النجوم والأفلak، وإنما هي دلائل على وجود قادر المطلق ومدبر الكون (١).

ووجه الاستدلال من هذه السير النباتية على إعادة الأجساد إن القادر المطلق الذي يراقب كل نوع من هذه الأنواع بأشكالها وألوانها وطبائعها ومميزاتها وجميع عناصرها وأجزاءها بهذه الدقة والنظام، بل ويعيدها كل سنة وفصل الربيع بالضبط بجميع خصائصها، فمعنى ذلك أن كل شجرة ونبة تمثل منظراً من مناظر القيمة أو الحياة الثانية كل سنة مرة بظاهرها الجديدة، فالباعث على التفكير أن الله العلي القدير، الذي يرى الناس بعض مناظر القيمة من خلال ظواهر عالم النبات كل سنة أليس بقادر أن يخرج الناس ويعيد الحياة إليهم ويعنهم مرة ثانية بكل ما يتضمنون به من الأشكال والصور والألوان والخصائص والعناصر؟ وكيف يعز عليه هذا الأمر؟؟

ومناك أنواع من النباتات: بعضها سنوي مثل مزارع الغلال تنتهي بفصولها كل سنة، وبعضها ذات سنتين، و منها ما يمتد عمرها لسنوات، وهذا الأخير تساقط أوراقها في كل خريف ويورق في الربيع من جديد، وقليل منها ما يكون دائم النضرة والازدهار، وعلى كل معظمها يلبس حلقة قشيبة وزيناً جديداً في كل ربيع طوال الأعوام، وبذلك يقدم منظراً جديداً بقيمة جديدة عبر السنوات.

#### عجائب الخلايا و دقائقها:

إن أجسام جميع الحيوانات والنباتات ترتكب من مجموعة خلايا

(١) Steven Rose, The Chemistry of Life, P. 17, Penguin Books, 1977.

وغاية التعمق . خفي فهمها على عقول العلماء . بحيث لم يتوصلا إلى كنها وما هي ، فالمادة التي يتكون بها التوارث تسمى : D.N.A. (D.N.A.) وهي أربعة أقسام أو زمر . ولكن الكيفية الحقيقة لاجتماعها لا زالت مجهولة . كما يعترف بذلك أحد المختصين في البيولوجيا :

It was still not known. However, exactly how these four kinds of building units are joined to form DNA. (1).

ويضيف هذا الكاتب نفسه أن اشتراك السلسلتين من ذي . إن . إى . ليس من الاتفاقات المختصة :

The Association of two Chains is by no means haphazard. (2).

ومناك إخبار آخر في البيولوجيا يعترف بعجز دنيا العلم عن الحصول على القدر الكافي من المعلومات عن العمل الداخلي للخلية . وخاصة من أعمال (النقل) فيها :

Unfortunately, we know very little about the actual mechanism of active transport. (3).

والحقيقة أن معرفة الإنسان . مهما تقدم العلم وتطور ونال حظاً وفيراً . لم تتجاوز خطواتها البدائية وحدودها الضيقة . فيقول هذا الكاتب نفسه في كتابه : إن هناك محيرات ولغزات من الفسيولوجيا والكيميائية قائمة أمامنا مصطفة وتنتظر منا الحل المعقول :

.....that eventually we will be able to explain in chemical and physical terms many of the puzzling mysteries that still confront us. (4).

فالخلية الصغيرة الدقيقة التي لا تستطيع إدراكتها عين مجردة . تحمل في طياتها عالماً من العجائب والأسرار . وتدع الإنسان في ورطة الدهشة والانبهار .

« يتبع »

(1) Norman V. Rothwell, Human Genetics, P. 209, Prentice Hall of India, New Delhi, 1978.

(2) Ibid., P. 212.

(3) William D. McElroy, Cell Physiology and Biochemistry, P. 12, Prentice Hall of India, New Delhi, 1978.

(4) Ibid., P. 2.

To say that the body form is controlled by the genes is hardly more illuminating scientifically than to say that it is controlled by God. (1).

ولو سلمنا أن نظرية الكروموسوم (وهو مجموعة جينات) صحيحة

بحيث تنتقل الخصائص الوراثية بواسطتها من جيل إلى جيل آخر .

لتحقق أن العلم بنفسه يقدم دليلاً علياً ضد المادية على إمكانية حصول

إعادة الأجسام . ولا أهمية عندئذ للبحث عن كيفية وجود الخصائص

الクロموسومية ابتداءً في كل نوع من هو حالاتها؟ لأن السؤال عن ذلك

السؤال عن الدجاجة والبيضة ما وجد منها أولاً؟ ومل وجدت

الأشجار أولاً أم البذور؟ وكذلك الذكر وجد أولاً أم الأنثى؟ فإن مثل

هذه الأسئلة يعجز العلم عن حلها . ولن يستطيع الرد عليها أبداً . إلا

أن العلم يعترف بالضرورة بأن هذه الميزات توجد في كل نوع . وهي

سبب انتقال الخصائص النوعية بالاستمرار من جيل إلى آخر . وإن

كان سبب تأكيد علماء الطبيعة على هذه النظرية احترازهم عن الاقرار

بوجود خالق . وهو الله سبحانه . ولكن على الرغم من ذلك لا تنحل

السائل بل تتعقد لمرات . ولو سلمنا جدلاً أن عمل التوارث أو

الクロموسوم هو كما يشرحها العلماء البيولوجيون . لأمكننا كذلك أن

نقول بأن الله سبحانه هو الذي جعل هذا القانون مثلاً جعل القرآنين

الطبية الأخرى . وذلك أن الله سبحانه وتعالى إنما يدبر خلقه جميعاً

تحت قوانين منتظمة . كما يقول تعالى : « و خلق كل شيءٍ فقدرته

تقديره » (سورة الفرقان، الآية: ٦).

وقال تعالى : « الله خالق كل شيءٍ وهو على كل شيءٍ وكيلٌ » (سورة الزمر، الآية: ٦٢).

ومع كل ذلك فإن نظريات التوارث والクロموسوم التي يقدمها العلماء لا تشرح مظاهر الطبيعة شرعاً وافياً . ولا تنقضى عجائب قدرة الله سبحانه . والحق أن عالم الكروموسومات والجينات بالغة الدقة

(1) Ronald Duncan (ed.), The Encyclopaedia of Ignorance, P. 252, Pergamon Press, Oxford, 1978.

## بالحكمة والمعونة الحسنة

واضح رشيد الندوى

وسائل القمع والكبت التي تستخدم في العالم ، لاضطهاد المسلمين ، وتخريب جهود العاملين للإسلام ، و تعطى انطباعاً واحداً . و هو أن الإسلام و المسلمين محاطون ومطوقون ، و ليس الأمر كذلك ، و يغوت مؤلءو المحتلين والكتاب أن هذه الظروف ليست جديدة في تاريخ الإسلام .

والواقع أن معدن المسلمين يظهر في المعاناة ، فهم كالثبر يخلصه السبك ، والمسك مسك وإن فت في التراب .

إن المحن والشدائد تخلق أمة جديدة ، وتشهد الأذمان . وقد تكون بمنابة التلقيح أو العملية الجراحية . ولكن الذي يهمنا أكثر ما هو واقع المسلمين أنفسهم . في آسيا و إفريقيا بصورة خاصة . و خلل الإسلامي في المسلمين ، و يريد تربيتهم تربية دينية ، وإزالة ما علق معالجة هذه القضايا يغوث المحتلين أمر المسلمين أنفسهم و وضعهم وأخلاقياتهم . و موقفهم ازاء قضاياهم ، و ازاء من يحيك لهم من المؤامرات .

إذا درسنا العمل الإسلامي في مثل هذه الظروف وجدنا أنه يقوم على ركينين . أحدهما الوصول إلى الحكم أو تطبيق الشريعة من منصة الحكم . و ثانيهما التتفيق الذهني . بعرض الإسلام . و مواجهة الخصوم . أما العمل في أوساط الناس . والمجهود لإصلاح حياة المسلمين . و اعادتهم إلى القيم والتعاليم الإسلامية . وبث الوعي الديني في أذمان عامة المسلمين . والاختلاط بهم . و حل مشاكلهم . وإيجاد مناعة ذاتية فيهم . ويعانونه من شدائده و تضحيات . إذا وضعت بعين الاعتبار . وجود هذا العنصر بالذات فهو يبعث على التفاؤل . وهو ملاحظ و ملموس أثره . وطبعه في كل بلد من بلدان المسلمين . وفي الدول ذات الأقليات الإسلامية . وهو أكثر بروزاً و نشاطاً في أوربا . فإن وجود هذا العنصر الإسلامي بالذات يشكل عنصر تفاؤل . واستبشر ، وأمل .

وعلى العكس نرى التنظيمات غير الإسلامية . منبثة في المسلمين . فقرائهم . وأغنيائهم . الأئميين منهم . والعلماء والشيوخ منهم . علاوة على وسائل الإعلام التي تغزو كل بيت . وكل أسرة وكل فرد في الإقامة والظعن . وهي الحد . والهزل . وتهافت المسلمين عليها .

إذا أخذنا بعين الاعتبار . وسائل المبشرين الذين ينتهزون كل فرصة لشقاء المسلمين . فيختلطون و يتمزجون بهم . وخاصة إذا كانت

وضع المسلمين في العالم وضع غريب . وضع يبشر وينذر في وقت واحد . فإذا صرنا انتباها إلى قضایاهم . ليس في منطقة واحدة ، بل في العالم كله ، وإلى ما يواجهونه من محن فالوضع ينذر بخطر عظيم . إنه وضع يهدد مصير المسلمين كامة ذات رسالة ومنهج . ومسئوليية وكامة متميزة عن الأمم الأخرى المتكالبة . والمتداعبة على المال ولذة فني كل مكان معاناة للعمل الإسلامي الذي يتحمل مسئولية بث الوعي الإسلامي في المسلمين . و يريد تربيتهم تربية دينية ، وإزالة ما علق بهم من تأثير التلوث الفكري في عهد الاستعمار الأوروبي . وفي عهد أعواان الاستعمار بعد جلاء الاستعمار العسكري .

وإذا وضع في عين الاعتبار وجود حركات ومؤسسات ونظمات ومعاهد تحمل مسئولية التربية الفكرية . وتقوم بعرض الإسلام . وكشف الأباطيل . وازاحة اللثام عن المؤامرات والدسائس التي يحيكها أعداء الإسلام . وتواجه نشاطات المنصرين . والمستشرقين في المسلمين من أعواان الاستعمار الأوروبي . ودعاة الإلحاد والاباحية . وما يتحمله دعاة المسلمين . وعلماؤهم من الأذى . وما يقومون به من مجهد . ويعانونه من شدائده و تضحيات . إذا وضعت بعين الاعتبار . وجود هذا العنصر بالذات فهو يبعث على التفاؤل . وهو ملاحظ و ملموس أثره . وطبعه في كل بلد من بلدان المسلمين . وفي الدول ذات الأقليات الإسلامية . وهو أكثر بروزاً و نشاطاً في أوربا . فإن وجود هذا العنصر الإسلامي بالذات يشكل عنصر تفاؤل . واستبشر ، وأمل . إن الذين يفخمون المعاناة . ويعطون قوة أعداء الإسلام والمسلمين . ويؤسون دائرة . إنما ينبطون لهم . وقد جعلت بعض الصحف والمجلات الإسلامية شغلها الشاغل أن تلتقط أخبار معاناة المسلمين .

المجهودات التي تبذل لتطويقهم أو توريطهم . ليوفروا طاقاتهم التي تستنزف في المواجهة مع أعدائهم . ويستثمرها هذه الطاقات في الدعوة الإسلامية . وإصلاح أحوال المسلمين . واعادتهم إلى النهج الإسلامي السليم . ولا يتحقق ذلك إلا إذا أمكن تجنب الصدام المباشر مع رجال الحكم الذين وضعهم الاستعمار ويقوم بدعمهم لخدمة ماربه . إن هذه الفترة التي يعيشها المسلمون فترة حاسة يتوقف عليها مصير المسلمين .

فإن القوة التي تجمعت للMuslimين . يجب أن تحفظ من التبدد والضياع . بالحكمة والموعدة الحسنة . والتسامح .

إن الذين نشأوا في البيئات القريبة وتكونت أذهانهم بالدعایات الاستعمارية المسمومة . وارتبطت مصالحهم بقيادة الغرب . وبقاوهم ببقائهم مخلصين لهم . لا يتوقع منهم أي ليونة في مواقفهم إزاء العمل الإسلامي لأنهم مؤجرون ومسيرون ولا يشك في ذلك أحد من يتابع مواقف زعماء الغرب بعد تفكك الاتحاد السوفيتي . فإنهم يعتبرون الحركة الإسلامية العدو رقم واحد لهم . وقد أفادت تقارير الصحف أن الصحوة الإسلامية لا تزال تحت رقابة شديدة ودراسة من قبل الدول الأوروبية . وأن بعض الدول الأوروبية تشرف بنفسها على وسائل قمع الحركة الإسلامية . وضربها من الداخل . فيتطلب هذا الوضع موقعاً إيجابياً واحتراساً . من قبل الدعاة والعاملين للإسلام .

#### اجراء غير ديموقراطي:

من التهم الموجهة إلى المسلمين . وخاصة إذا طالبوا بتطبيق الشريعة أن الأقليات غير الإسلامية تواجه حرماناً . أو تمييزاً . وهذه التهمة في الواقع تهمة ملفقة . لا تقوم على أساس الدراسة . وإنما تقوم على أساس التخييل المعادي للإسلام الذي يرجع إلى عهد القرون الوسطى عندما كان المسلمين يسوسون العالم وأوربا كانت في ظلام حalk . ويعرف الدارسون أن النصارى كنّيات كانت لهم حقوق خاصة في مختلف فترات الحكم الإسلامي . وحتى في عهد الخلافة العثمانية ابرمت معاهدة

هذه المعاناة والشقاء مصدرها المسلمين أنفسهم . فيتيسر لهم استغلال الفرصة . وخبير مثل ذلك أعمال التبشير في الصومال . والعراق . وأفغانستان . وباكستان . وبنغلاديش . وآسيا الوسطى . حيث يجري النزاع بين المسلمين أنفسهم . ويشقى المسلمين بسوء معاملة أخوانهم . ويتجبر للعمل في مثل هذه الأوساط المنكوبة مدربون مشغفون من المنصرين ويتركون أعمالهم . ويتحملون صعوبات في هذا السبيل . ويعيشون في أماكن وعرة . وخطورة العيش في حالة النزاعسلح . ويكسبون ود المسلمين . بأسعافهم وإغاثتهم . ويندس كثير من المنصرين في نشاطات وكالات الغوث الدولية . ويتحققون أهدافهم التبشيرية . وفي مثل هذه الأحوال يلاحظ غياب الدعاة المسلمين . والمصلحين الاجتماعيين .

إن خطورة وضع المسلمين خطورة مزدوجة . معاناتهم الجسدية ووقوعهم في فخ الأعداء باسم الرحمة والعطف . والغوث . والاسعاف . ومن المؤسف أن رجال الدعاة في كثير من البلدان الإسلامية . يساقون إلى المواجهة مع نظم الحكم في بلدانهم . وقد أفادت التقارير الأخيرة أن أكثر من أربعين ألف من المسلمين في السجون في عدد من الدول الإسلامية . وعدد أكبر منهم يواجه المطاردة . والمراقبة . ويعني ذلك تعطيل هذه القوة المتداقة ومعظمهم من الشباب والتحمسيين للإسلام أو تجييدها . وبهذا التطويق يحدث فراغ هائل في مجال الدعاة . وينال أعداء الإسلام الحرية المطلقة . لممارسة نشاطاتهم في البيئات الإسلامية .

فالوضع بهذا الاعتبار . وضع مرتكب . قوة متداقة لم تتكون في عصر من العصور في التاريخ المعاصر . وعي ويقظة . ترهب العدو . لكنها مطوقة . ومقيدة . وفي الوقت نفسه تفتح على المسلمين أبواب الفتنة والمحن . وتنشر المعاناة . فتسرع إليهم أفواج الدعاة من غير المسلمين . لتحويل هذا الوضع إلى صالحهم .

إن الوضع يتطلب من المسلمين حكمة وتدبيراً لائتاً . لتجنب





## إلى إخواننا القراء الكرام

### الاشتراكات السنوية:

\* في الهند: مأة روبيه  
ثمن النسخة عشر روبيات:  
\* في العالم العربي وفي جميع  
دول العالم.

٢٠ دولاراً بالبريد السطحي.  
٣٦ دولاراً بالبريد الجوي

### عنوان المراسلات:

مكتب البعث الإسلامي،  
(مؤسسة الصحافة والنشر)  
ندوة العلماء ص. ب ٩٣  
لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI  
C/o, NADWAT UL ULAMA  
P. O. Box: No. 93.  
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة  
بكل فكر ينشر فيها.

إن مجلتكم «البعث الإسلامي» تجتاز  
الآن عاماً السابع والثلاثين،  
و ذلك بتوفيق الله تعالى وحده، فحمد الله  
تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار في خدمة  
البعث الإسلامي، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة  
و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة في  
في الظروف القاسية التي تجتازها الأمة الإسلامية  
وي تعرض لها المسلمون في كل مكان، نحو دينهم  
و شريعتهم و رسالتهم العالمية.

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن  
ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كاياماً  
و يسر بها القارئ الكريم، و لا يخفى عليكم  
أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بخلاف أسعار الورق  
و الطباعة و أجور العمال، فنرجو أن يتكرم  
كل أخ كريم يبذل جهوداته في سبيل دعم المجلة  
و توسيعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا  
في أداء بعض الواجب الذي تحمله الآن.

و على ذلك قررنا زيادة في قيمة  
الاشتراكات، رجاءً أن تكون في صالح المجلة.  
والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

البعث الإسلامي العدد ١٧٢ - ربيع الثاني ١٤١٣  
لرعاية حقوق المسلمين، وكانت هذه المعاهدة بنفسها عنراً لتدخل  
بعض الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية.  
وفي العصر الحاضر، الأقليات غير الإسلامية في معظم دول المسلمين  
أحسن حالاً من الأغلبية الإسلامية، ولا يمارس أي تمييز في التعليم  
وفرص العمل، والاقتصاد، ويستولى غير المسلمين في عدد من الدول  
الإسلامية على التجارة والصناعة، كما يسمح لهم بفتح المؤسسات  
التعليمية، والمستشفيات التي تقوم بعمل الدعاية إلى العقائد والمناجم  
غير الإسلامية، وتوجد جامعات عديدة يديرها غير المسلمين وتمويلها  
الدول الأوروبية وهي كثيرة في العالم الإسلامي.

وفي مقابل ذلك تعيش الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية  
في وضع حرمان من الحقوق الأساسية، ففي كثير من الدول لا يسمح لهم  
بفتح مدارس خاصة لهم وإنشاء مساجد، وفي عدد من الدول التي يعيش  
فيها المسلمون في أغلبية لا يسمح للMuslimين بأعمال الدعاية إلى الإسلام  
بينما يسمح للمنصرين بممارسة نشاطاتهم، فليست الأقليات الإسلامية  
في بُؤس وشقاء وإنما الأغلبيات الإسلامية أيضاً في شقاء في دولهم.  
وأحدث مثال على هذا الفارق بين المسلمين وغير المسلمين، ما تفاصيل الأخبار  
أن الحكومات التابعة لحرب بھارتي جانتا في الهند، تخططاً وضع قانون لسلب  
الاعتراف بمؤسسات الأقليات التعليمية، وفرض قيود على مناجم التعليم.  
لقد كان المسلمين يشكرون سوء المعاملة ومخالفة الدستور في السياسة،  
وكانوا يعانون من الاضطرابات الطائفية، والآن سيواجهون مشكلة التعليم، فلا  
يمكنهم إدارة مدارس ومعاهد تعليمية وإذا فتحوا لا تنال هذه المدارس  
الاعتراف الرسمي فلا يمكن لطلبتها الالتحاق بالمدارس الرسمية، ثم يفرض  
عليهم أن يدرسوا مواد الدراسة الموجهة التي عليها طابع التصور الوثني،  
وتجسيد تاريخ الهند العتيق، وأمجادها.

إن هذا القانون إذا فرض سيكون مخالفة للدستور الديمقراطي الذي يمنع  
الأقليات حقوقاً خاصة، ولكن الضعف، ومن ليس له من يحميه لا صوت له،  
وعلى المسلمين أن يفكروا في هذا الأمر الذي له تأثير على مستقبل أجيالهم،  
ويعدوا خطة حكيمه في ضوء الظروف المستحدثة.